الشيخ ندا
أبو أحمد

يحبهم ويحبونه - ب

محبة العبد لربه تعالى

الشيخ/ندا أبو أحمد

يحبهم ويحبونه - ب

محبة العبد لربه تعالى

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

يحبهم ويحبونه- ب

محبة العبد لربه تعالى

تعريف المحبَّة وحدُّها:

والمحبة تكون بين طرفين، وقد ذكر ابن القيم في" مدارج السالكين:٣/٢٨١" فصل: بين محبة العبد لربه، ومحبة الله لعبده":

المحبة تنقسم إلى قسمين:

والمؤمنون على مراتب ثلاث في المحبة:

محبة الله تعالى واجبة على كل مسلم ومسلمة:

فضائل محبَّة اللّه تعالى:

١- أن محبة الله أصل التوحيد وروحه.

٢- أن الحاجة إلى محبة الله أعظم من الحاجة إلى الطعام، والشراب، والنكاح.

٣- محبة الله تقطع الوساوس والخطرات عن قلب العبد.

٤- محبة الله تسلي المحب عند المصائب.

٥- محبة الله أعظم ما يحمل على ترك المعاصي.

٦- محبة الله تحمل المحب إلى فعل الطاعات بل فعل المندوبات.

٧- محبة الله هي تمام النعيم، وغاية السُّرور، ومنتهى الأنس، وجنة الدنيا.

٨- محبة الله تجعل المرء يتذوق طعم الإيمان.

٩- محبة الله سبب في غفران الذنوب.

١٠- محبة الله سبب في النجاة من عذاب يوم القيامة.

١١- محبة الله سبب في الفوز بمعية الله تعالى يوم القيامة.

علامات محبة العبد لله تعالى

العلامة الأولى: الذلة على المؤمنين.

العلامة الثانية: العزة على الكافرين.

العلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله.

العلامة الرابعة: أنهم لا يخافون في الله لومة لائم.

العلامة الخامسة: الموافقة.

العلامة السادسة: الرضا بالقضاء.

العلامة السابعة: الحياء من الله.

العلامة الثامنة: التضحية من أجل الله تعالى.

العلامة التاسعة: بغْض ما يبغضه الله تعالى من الكفر والكافرين، والفسق والفاسقين، وكل الصفات المذمومة والأفعال المرذولة.

العلامة العاشرة: التلذذ بالعبادة وسرعة المبادرة إليها.

العلامة الحادية عشر: غيرة العبد لله، وغيرته على الله تعالى.

العلامة الثانية عشر: كثْرة تلاوة القرآن الكريم بالتدبر والتفكر.

العلامة الثالثة عشر: الغنى بالله تعالى.

العلامة الرابعة عشر: كثرة ذكر الله تعالى.

العلامة الخامسة عشر: أن يكون أنسه بالخلوة والمناجاة.

العلامة السادسة عشر: قيام الليل.

العلامة السابعة عشر: محبة الكعبة والمساجد؛ فهي دار المحبوب وبيته.

العلامة الثامنة عشر: الشوق إلى الله تعالى.

العلامة التاسعة عشر: أن يكون مؤثرًا ما أحب الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه.

العلامة العشرون: محبة لقاء الله في دار السلام.

الأسباب الجالبة لمحبّة العبد لربه تعالى:

أحدها: قراءة القرآن بالتّدبُّر والتّفهُّم لمعانيه وما أُريد به، كتدبُّر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهَّم مراد صاحبه منه.

السبب الثّاني: التّقرُّب إلى الله بالنّوافل بعد الفرائض، فإنّها تُوصِله إلى درجة المحبوبيّة بعد المحبّة.

السبب الثّالث: دوام ذكره على كلِّ حالٍ: باللِّسان والقلب، والعمل والحال. فنصيبُه من المحبّة على قدر نصيبه من هذا الذِّكر.

السبب الرّابع: إيثار مَحابِّه على مَحابِّك عند غلبات الهوى، والتّسنُّم إلى مَحابِّه وإن صعُبَ المرتقى.

السبب الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلُّبه في رياض هذه المعرفة: فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبَّه لا محالةَ.

السبب السّادس: مشاهدة بِرِّه وإحسانه وآلائه ونِعَمِه الباطنة والظّاهرة، فإنّها داعيةٌ إلى محبّته.

السبب السّابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكلِّيّته بين يدي الله تعالى، وليس في التّعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

السبب الثّامن: الخلوة به وقتَ النُّزول الإلهيِّ، لمناجاتِه وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتّأدُّب بأدب العبودية بين يديه. ثمّ خَتْم ذلك بالاستغفار والتّوبة.

السبب التّاسع: مجالسة المحبِّين الصّادقين، والتقاط أطايبِ ثمراتِ كلماتهم كما تنتقي أطايبَ الثّمر، ولا تتكلَّم إلّا إذا ترجّحتْ مصلحة الكلام، وعلمتَ أنّ فيه مزيدًا لحالك ومنفعةً لغيرك.

السبب العاشر: مباعدة كلِّ سببٍ يحول بين القلب وبين الله عزّ وجلّ.

السبب الحادي عشر: ومن الأسباب الجالبة لمحبَّة الله تعالى أيضًا: الدعاء، بأن يسأل العبدُ ربه أن يرزقه حبه.

الثاني عشر: تذكر ما ورد في الكتاب والسنة من رؤية أهل الجنَّة لربهم وزيارتهم له واجتماعهم يوم المزيد.

أقوال وأخبار السلف عن محبة اللّه عز وجل:

ذكرت في ثنايا الرسالة.

يحبهم ويحبونه

محبة العبد لربه عز وجل

يقول ابن القيم–رحمه الله–: " ومَحَبَّةُ الله عز وجل هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون. وإلى علمها شمر السابقون. وعليها تفانى المحبون. وبروح نسيمها تروح العابدون. وهي قُوتُ القلوبِ، وغِذاءُ الأرواحِ، وقُرَّةُ العيونِ، وهي الحياةُ التي من حُرِمها فهو من جملةِ الأمواتِ، والنُّورُ الذي من فقده فهو في بحارِ الظُّلماتِ، والشِّفاءُ الذي من عُدِمَه حَلَّت بقلبه جميعُ الأسقامِ، واللَّذَّةُ التي من لم يظفَرْ بها فعَيشُه كُلُّه همومٌ وآلامٌ، وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التي متى خَلَت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه ". **(مدارج السالكين:٣/٨)**

وقال–رحمه الله– في موضع آخر: " ومحبة الله عز وجل هي حياة القلوب، وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها، وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، بل فساد القلب– إذا خلا من محبة فاطره وبارئه وإلهه الحق– أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح، وهذا الأمر لا يصدق به إلا من فيه حياة، وما لجرح بميت إيلام ".

(انظر الجواب الكافي ص:٥٤١)

وقال يحيى بنُ أبي كَثيرٍ–رحمه الله–: " نظَرْنا فلم نجِدْ شيئًا يتلَذَّذُ به المتلَذِّذون أفضَلَ من حُبِّ اللهِ تعالى وطَلَبِ مَرَضاتِه ". **(المحبة لله سبحانه لإبراهيم بن الجنيد ص: ٣٥)**.

وقال شيخ الإسلام ابنُ تَيميَّةَ–رحمه الله–: " ليس للقُلوبِ سُرورٌ ولا لذَّةٌ تامَّةٌ إلَّا في مَحَبَّةِ اللهِ والتقَرُّبِ إليه بما يحبُّه، ولا تمكِنُ محبَّتُه إلَّا بالإعراضِ عن كُلِّ محبوبٍ سِواه، وهذا حقيقةُ لا إلهَ إلَّا اللهُ ".

(مجموع الفتاوى:٢٨/٣٢)

تعريف المحبَّة وحدُّها:

قال ابن القيم–رحمه الله–: " لا تُحَدُّ المحبةُ بحدٍّ أوضحَ منها؛ فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً، وجفاءً، فحدُّها وُجُودُها، ولا توصف المحبة بوصفٍ أظهرَ من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهدها، وثمراتها، وأحكامها؛ فحدودهم، ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات بحسب إدراك الشخص، ومقامه، وحاله، ومِلْكِهِ للعبارة ". **(مدارج السالكين: ٣/١١)**

ومما قيل في حد المحبة وتعريفها:

١- هي أن تَهَبَ كُلَّك لمن أحببتَ، فلا يبقى لك منك شيءٌ.

والمراد: أن تهب إرادتك وعزماتك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تُحِبُّه[١]، وتجعلَها حبسًا في مرضاته ومَحابِّه، فلا تأخذ لنفسك منها إلّا ما أعطاك، فتأخذه منه له. **(الرسالة القشيرية ص: ٦٥٣)**

٢- **وقيل:** أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب.

وكمال المحبّة يقتضي ذلك، فإنّه ما دامت في القلب بقيّةٌ لغيره ومسكَنٌ لغيره فالمحبّة مدخولةٌ.

(المصدر السابق)

٣- **وقيل:** سقوط كلِّ محبّةٍ من القلب إلّا محبّةَ الحبيب. والمراد: توحيد المحبوب بالمحبّة.

٤- **وقيل:** هي سفرُ القلبِ في طلب المحبوب، ولَهَجُ اللِّسان بذكرِه على الدّوام.

فأمّا سفر القلب في طلبه فهو الشّوقُ إلى لقائه، وأمّا لَهَجُ اللِّسان بذكره فلا ريبَ أنّ من أحبّ شيئًا أكثرَ مِن ذِكْرِه.

٥- **وقيل:** أن يكون كلُّك بالمحبوب مشغولًا، وكلُّك له مبذولًا.

والمحبة تكون بين طرفين، وقد ذكر ابن القيم في" مدارج السالكين:٣/٢٨١" فصل: بين محبة العبد لربه، ومحبة الله لعبده":

ثم ذكر قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ **(المائدة:٥٤)**

والكلام في هذه المنزلة معلق بطرفين طرف محبة العبد لربه، وطرف محبة الرب لعبده، وأن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر ولا نسبة لسائر المحاب إليها، وهي حقيقة" لا إله إلا الله" وكذلك محبة الرب لأوليائه وأنبيائه ورسله: صفة زائدة على رحمته، وإحسانه وعطائه. فإن ذلك أثر المحبة وموجبها. فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب...". اهـ بتصرف واختصار

ويقول الشيخ السعدي-رحمه الله-: " ومحبة الله هي روح الأعمال، وجميع العبودية الظاهرة والباطنة ناشئةٌ عن محبة الله تعالى، ومحبة العبد لربه فضلٌ من الله وإحسان، وليست بحول العبد ولا قوَّته، فهو تعالى الذي أحبَّ عبده، فجعل المحبَّة في قلبه.

١- وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢)

والحديث بمشيئة الله تعالى في هذه الرسالة سيكون عن محبة العبد لربه.

أما عن محبة العبد لربه فقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾: يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أندادا، أي: أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ند له، ولا شريك معه. ***وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:*** قلت: يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال:" أن تجعل لله ندا وهو خلقك". وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ ولحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجئون في جميع أمورهم إليه ". اهـ

وقال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: وقوله: ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين أندادا لله: أي نظراء ومثلاء، يساويهم في الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة.

ومن كان بهذه الحالة - بعد إقامة الحجة، وبيان التوحيد- علم أنه معاند لله، مشاق له، أو معرض عن تدبر آياته والتفكر في مخلوقاته، فليس له أدنى عذر في ذلك، بل قد حقت عليه كلمة العذاب.

وهؤلاء الذين يتخذون الأنداد مع الله، لا يسوونهم بالله في الخلق والرزق والتدبير، وإنما يسوونهم به في العبادة، فيعبدونهم، ليقربوهم إليه، وفي قوله:" اتخذوا" دليل على أنه ليس لله ند وإنما المشركون جعلوا بعض المخلوقات أندادا له، تسمية مجردة، ولفظًا فارغًا من المعنى، **كما قال تعالى:** ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ فالمخلوق ليس ندًا لله لأن الله هو الخالق، وغيره مخلوق، والرب الرازق ومن عداه مرزوق، والله هو الغني وأنتم الفقراء، وهو الكامل من كل الوجوه، والعبيد ناقصون من جميع الوجوه، والله هو النافع الضار، والمخلوق ليس له من النفع والضر والأمر شيء، فعلم علمًا يقينًا، بطلان قول من اتخذ من دون الله آلهة وأندادًا، سواء كان ملكًا أو نبيًا، أو صالحًا، أو صنمًا، أو غير ذلك، وأن الله هو المستحق للمحبة الكاملة، والذل التام، فلهذا مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ أي: من أهل الأنداد لأندادهم، لأنهم أخلصوا محبتهم له، وهؤلاء أشركوا بها، ولأنهم أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة، الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه، والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئًا، ومحبته عين شقاء العبد وفساده، وتشتت أمره ". اهـ

واعلم أخي الحبيب... أن الله سبحانه غرس شجرة محبته ومعرفته وتوحيده في قلوب من اختارهم لربوبيته، واختصهم بنعمته، وفضَّلهم على سائر خليقته. **فهي** ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ(٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (إبراهيم: ٢٤،٢٥)

واعلم أخي الحبيب... أن من قرت عينه بالله سبحانه قرت به كل عين، وأنس به كل مستوحش، وطاب به كل خبيث، وفرح به كل حزين، وأمن به كل خائف، وشهد به كل غائب، وذكرت رؤيته بالله، ومن اشتاق إلى الله اشتاقت إليه جميع الأشياء.

المحبة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: محبةُ عبادةٍ: وهي المحبة التي توجب التذلل والتعظيم، وأن يقوم بقلب المُحب من إجلال المحبوب وتعظيمه ما يقتضي أن يتمثل أمره ويجتنب نهيه، وهذه المحبة خاصة بالله، فمن صرف تلك المحبة لله فهو المؤمن الموحد، وهذه المحبة أصل الإيمان والتوحيد، وهي التي يترتب عليها من الفضائل ما لا يمكن حصره وعده، ويعبر العلماء عنها بالمحبة الخاصة.

ومن أحب مع الله غيره محبة عبادة فهو مشرك شركًا أكبر، أي من صرف هذه المحبة لغير الله فقد وقع في المحبة الشركية؛ حيث أشرك بالله تعالى وذلك كمحبة المشركين الذين يحبون آلهتهم، وأندادهم كمحبة الله، من شجر، أو حجر، أو بشر، أو ملك أو غير ذلك؛ فهذه المحبة أصل الشرك وأساسه.

القسم الثاني: محبة ليست بعبادة في ذاتها وهذه أنواع:

النوع الأول: المحبة لله وفي الله: وذلك بأن يكون الجالب لها محبة الله أي كون الشيء محبوبًا لله تعالى كمحبة ما يحبه الله من الأمكنة، والأزمنة، والأشخاص، والأعمال، والأقوال، ونحو ذلك؛ فهذه المحبة تابعة لمحبة الله.

النوع الثاني: محبة إشفاق ورحمة: كمحبة الوالد لولده، وكمحبة والصغار، والضعفاء، والمرضى.

النوع الثالث: محبة إجلال وتعظيم لا عبادة: كمحبة الولد لوالده، وكمحبة التلميذ لمعلمه وشيخه والكبير من أهل الخير.

النوع الرابع: محبة طبيعية: كمحبة الطعام، والشراب، واللباس، والنكاح، والمركب والمسكن، والأصدقاء، ونحو ذلك.

وأشرف هذه الأنواع النوع الأول، والبقية من قسم المباح؛ إلا إذا اقترن بها نية صالحة وأعانت على محبة الله وطاعته فتصير عبادة؛ كمحبة الولد شفقة إذا اقترن بها الاقتداء بالنبي ﷺ في محبة الأولاد ورحمتهم، والأكل والشرب إذا قصد به الاستعانة على طاعة الله صار عبادة.

وهذه الأمور إن صدت عن محبة الله، دخلت في المنهيات، وإن لم تُعن على طاعة، ولا معصية فهي في دائرة المباحات.

والمؤمنون على مراتب ثلاث في المحبة:

المرتبة الأولى: كامل المحبة لله تعالى: وهو من التزم السنن والواجبات، واجتنب المكروهات والمحرمات، وهذا حال الأنبياء والأصفياء من هذه الأمة.

المرتبة الثانية: مقتصد المحبة لله تعالى: وهو من اقتصد في عمله فواظب على الواجبات، وترك المحرمات، ولم يتزود من الصالحات، وهذا حال عامة الصالحين.

المرتبة الثالثة: ناقص المحبة لله تعالى: وهو من قصر في فعل الواجبات، ووقع في المحرمات، وأسرف على نفسه بالسيئات، وهذا حال أهل الغفلة والهوى من هذه الأمة.

تنبيه: المعصية لا تنافي أصل المحبة، لكنها تنافي كمال المحبة؛ ويدل على هذا؛ **ما أخرجه البخاري من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال:** أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النبيِّ ﷺ كانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وكانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وكانَ يُضْحِكُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ، وكانَ النبيُّ ﷺ قدْ جَلَدَهُ في الشَّرَابِ[1]، فَأُتِيَ به يَوْمًا فأمَرَ به فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْه، ما أكْثَرَ ما يُؤْتَى بهِ؟ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: لا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ إلا أنَّه يُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ ". – *وفي رواية:* " لا تلعنْه فإنه يحبُّ اللهَ ورسولَه".

محبة الله تعالى واجبة على كل مسلم ومسلمة:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

(التوبة: ٢٤)

أي قل يا أيها الرسول للمؤمنين: إن فَضَّلتم الآباء والأبناء والإخوان والزوجات والقرابات والأموال التي جمعتموها والتجارة التي تخافون عدم رواجها والبيوت الفارهة التي أقمتم فيها، إن فَضَّلتم ذلك على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله فانتظروا عقاب الله ونكاله بكم. والله لا يوفق الخارجين عن طاعته.(التفسير الميسر)

يقول السعدي–رحمه الله– في تفسير هذه الآية: " ومحبة اللّه ورسوله ﷺ، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما فقال: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ ومثلهم الأمهات ﴿وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾ في النسب والعشرة ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أي: قراباتكم عمومًا ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ أي: اكتسبتموها وتعبتم في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصًا عليها ممن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كَدّ.﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ أي: رخصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، من الأثمان، والأواني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك. ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ من حسنها وزخرفتها وموافقتها لأهوائكم، فإن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ فأنتم فسقة ظلمة.

١- في الشَّراب: أي الخمر.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ الذي لا مرد له.﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الخارجين عن طاعة اللّه، المقدمين على محبة اللّه شيئا من المذكورات.وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة اللّه ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من اللّه ورسوله، وجهاد في سبيله. وعلامة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه اللّه ورسوله، وليس لنفسه فيها هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفَوِّتُ عليه محبوبًا للّه ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه اللّه، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه ". اهـ

وقفة: **لا يكتمل إيمان عبد حتى يقدم محبة الله على محبته لنفسه، وقد قال الله تعالى في حق النبي ﷺ:** ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب:٦)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ ".

وقوله ﷺ:" أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحَبَّ إليه ممَّا سِواهما"، ومَحبَّةُ اللهِ تَنشَأُ مِن مَعرفةِ أسمائِه وصِفاتِه، والتَّفكيرِ في مَصنوعاتِه، وما فيها مِن الحِكَمِ والعَجائبِ، وتَحصُلُ مِن مُطالَعةِ نِعَمِه على العِبادِ؛ فإنَّ ذلك كلَّه يدُلُّ على كَمالِه وقُدرتِه، وحِكمتِه وعِلمِه ورَحمتِه، ومَحبَّةُ العبدِ لِخالقِه سُبحانه وتعالَى تَقودُ العبْدَ إلى الْتزامِ شَريعتِه وطاعتِه، والانتهاءِ عمَّا نَهى عنه. ومَحبَّةُ الرَّسولِ ﷺ تابعةٌ لمَحبَّةِ اللهِ، ويَلزَمُ مِن تلك المحبَّةِ اتِّباعُ النبيِّ ﷺ في أوامِرِه ونواهيه، كطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ويَجِبُ أنْ تكونَ مَحبَّةُ الرسولِ ﷺ في قلْبِ كلِّ مسلمٍ أعظَمَ مِن مَحبَّتِه لنفْسِه، ومَحبَّتِه لأبيهِ وأُمِّه، وابنِه وبِنتِه، وزَوجتِه، وصَديقِه وأقارِبِه، والناسِ أجمعينَ.

وقد أقسم الرسول ﷺ فقال:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ من والده وولده ".

(رواه البخاري)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن هشام قال: " كُنَّا مع النَّبيِّ ﷺ وهو آخِذٌ بيَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَقالَ له عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شَيْءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: لَا، والَّذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ، فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: الآنَ يا عُمَرُ ".

وهنا سؤال يطرح نفسه: وإذا كانت محبة الرسول ﷺ وهو عبد لله يجب أن تقدم على محبة النفس، والأهل، والوالد، والولد، والناس أجمعين؛ فما الظن إذًا بمحبة الخالق البارئ، المصور، الرزاق، العظيم؟!. فالله عز وجل أحق أن تقدم محبته فوق أي محاب.

فضائل محبَّة الله:

محبَّة الله –عزَّ وجلَّ– أشرف المكاسب، وأعظم المواهب، وفضائلها لا تُعد ولا تحصى، ومن ذلك:

١- أن محبة الله أصل التوحيد وروحه:

فمحبة الله تعالى هي حقيقة العبودية، التي ما خلقنا الله عز وجل إلا من أجلها، بل ولأجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وجعل الثواب والعقاب، وخلق الجنة والنار، والدنيا والآخرة؛ فما حقيقة العبودية إلا كمال الحب مع كمال التعظيم والذل للخالق المنعم.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي–رحمه الله–: " أصل التوحيد، وروحه إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التأله والتعبد، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق جميع المحاب، وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها؛ بحيث تكون سائر محاب العبد تبعًا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه ". **(القول السديد ص:١١٠)**

٢- أن الحاجة إلى محبة الله أعظم من الحاجة إلى الطعام، والشراب، والنكاح:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–: " ففي قلوب بني آدم محبة لما يتألهونه ويعبدونه، وذلك قوام قلوبهم، وصلاح نفوسهم، كما أن فيهم محبة لما يطعمونه وينكحونه، وبذلك تصلح حياتهم، ويدوم شملهم. وحاجتهم إلى التأله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء؛ فإن الغذاء إذا فُقد يَفُسد الجسم، وبفقد التأله تفسد النفس". اهـ **(جامع الرسائل لابن تيمية:٢/ ٢٣٠)**

وقال ابن القيم–رحمه الله–: " فكيف بالمحبة التي هي حياة القلوب، وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا حياة إلا بها، وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقد شمّه، واللسان إذا فقد نطقه؟! ". **(الجواب الكافي ص:٥٤١)**

فحبُّ الله من أعلى المنازل التي تحرِّك الإيمانَ في القلب، وتزيده قوة، وهي رُوح الإيمان والأعمال، فإذا خلَتِ القلوبُ منها، فهي كالجسد الذي لا رُوح فيه.

٣- محبة الله تقطع الوساوس والخطرات عن قلب العبد:

قال ابن القيم–رحمه الله–: " فبين المحبة والوساوس تناقض شديد كما بين الذكر والغفلة؛ فعزيمة المحب تنفي تردد القلب بين المحبوب وغيره، وذلك سبب الوساوس، وهيهات أن يجد المحب الصادق فراغًا لوسواس الغير؛ لاستغراق قلبه في حضوره بين يدي محبوبه، وهل الوسواس إلا لأهل الغفلة والإعراض عن الله تعالى؟ ومن أين يجتمع الحب والوسواس ". **(مدارج السالكين:٣/٣٨)**

٤- محبة الله تسلي المحب عند المصائب:

فبالمحبة وحْدِها يتحمَّل العبد ما تنوء عن حمله الجبال الرواسي، **كما قيل:**

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالحَيَاةُ مَرِيرَةٌ ... وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالأَنَامُ غِضَابُ

وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ ... وَبَيْنِي وَبَيْنَ العَالَمِينَ خَرَابُ

إِذَا صَحَّ مِنْكَ الوُدُّ فَالكُلُّ هَيِّنٌ ... وَكُلُّ الَّـذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

وقال علقمة-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن:١١). هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى ".

وقال ابن القيم-رحمه الله-: " فإن المحب يجد من لذة المحبة ما ينسيه المصائب، ولا يجد من مسِّها ما يجد غيره، حتى كأنه قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق. بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ المحب بكثير من المصائب التي يصيبه بها حبيبه أعظم من التذاذ الخليّ (العاري من المحبة) بحظوظه وشهواته".
(مدارج السالكين:٣/ ٣٨)

٥- محبة الله أعظم ما يحمل على ترك المعاصي:

قال ابن القيم-رحمه الله- في معرض حديث له عن محبة الله: " وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته، ومعاصيه؛ فإن المحب لمن يحب مطيع، وكلما قوي سلطان المحبة في القلب كان اقتضاؤه للطاعة، وترك المخالفة أقوى، وإنما تصدر المعصية والمخالفة من ضعف المحبة، وسلطانها. وفرق بين من يحمله على ترك معصية سيده خوفه من سوطه وعقوبته، وبين من يحمله على ذلك حبه لسيده ".
(المصدر السابق)

ويقول ابن القيم أيضًا: " وها هنا لطيفة يجب التنبه لها، وهي أن المحبة المجردة لا توجب هذا الأثر ما لم تقترن بإجلال المحبوب وتعظيمه؛ فإذا قارنها الإجلال والتعظيم أوجبت هذا الحياءَ والطاعةَ، وإلا فالمحبة الخالية عنهما إنما توجب نوعَ أنسٍ، وانبساط، وتذكر، واشتياق. ولهذا يتخلف أثرها ومُوجَبُها، ويفتش العبد قلبه فيرى نوع محبة لله، ولكن لا تحمله على ترك معاصيه، وسبب ذلك تجرّدها عن الإجلال والتعظيم؛ فما عَمَرَ القلبَ شيءٌ كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعْظيمه. وتلك من أفضل مواهب الله للعبد، أو أفضلُها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ". **(طريق الهجرتين ص:٤٤٩)**.

وقد أوصت امرأة من السلف أولادها فقالت لهم: " تعودوا حب الله وطاعته، فإن المتقين ألفوا بالطاعة فاستوحشت جوارحهم من غيرها، فإن عرض لهم الملعون(إبليس) بمعصية مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون".

وأنشد ابن المبارك:

تعصي الإله وأنتَ تزعمُ حُبَّهُ ... هذا لَعَمرِي في القياسِ بديعُ

لو كانَ حُبُّكَ صادقًا لأطَعتهُ ... إنَّ المُحبَّ لِمَن يُحبُّ مُطيعُ

٦- محبة الله تحمل المحب إلى فعل الطاعات بل فعل المندوبات:

فبحسب قوة المحبة؛ تكون قوة السير إلى الله تعالى، ويكون الإقبال عليه.

أخرج البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ قال: **" قَامَ النبيُّ ﷺ حتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فقِيلَ له: غَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، قالَ: أفلا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا.**

– ***وفي رواية:*** **" إنْ كانَ النبيُّ ﷺ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ – أَوْ سَاقَاهُ – فيُقَالُ له فيَقولُ: أَفلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ".**

قال بعض السلف: " أنا منذ أربعين سنة ما أزعجني إلا طلوع الفجر.(يعني يستمتع بقيام الليل)".

وقال بعضهم: " أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ".

وقال بعضهم: " إنه لتمر بي أوقات يرقص فيها القلب طربًا ".

وقال بعضهم: " إنه لتمر بي أوقات أقول إن كان أهل الجنة كما نحن فيه والله إنهم لفي عيش طيب".

وقال شيخ الإسلام–رحمه الله–: " إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة ".

وطاعة العبد لربه سبيل لأن يحفظ الله تعالى المحبَّ في سمعه؛ فلا يسمع إلاَّ ما يحبه الله، ويحفظ عليه بصره؛ فلا ينظر بهما إلاَّ في ما يحبه الله، ويحفظ عليه يديه؛ فلا يبطش بهما إلاَّ في كل خير يحبه الله، ويحفظ عليه رجله؛ فلا يخطو بها إلاَّ في ما يحبه الله، ويستجيب دعاءه، ويعيذُه من كل سوء. ***ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي وليًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ".**

قيل لعامر بن عبد قيس–رحمه الله–: أما تسهو في صلاتك؟ قال: أو حديث أحب إليّ من القرآن حتى أشتغل به؟ هيهات مناجاة الحبيب تستغرق الإحساس.

وكان الفضيل–رحمه الله– يقول: " أفرح بالليل لمناجاة ربي، وأكره النهار للقاء الخلق ".

ولله در القائل:

وكن لربك ذا حب لتخدمه إن المحبين للأحباب خُدّامُ

٧- محبة الله هي تمام النعيم، وغاية السُّرور، ومنتهى الأنس، وجنة الدنيا:

فذلك لا يحصل إلا بمحبة الله-عز وجل- فلا يغني القلب، ولا يَسُدُ خلته ولا يشبع جوعته إلا محبته، والإقبال عليه-عز وجل- ولو حصل له كل ما يلتذ به لم يأنس ولم يطمئن إلا بمحبة الله-عز وجل-.

قال ابن القيم-رحمه الله-: " وأما محبة الرب سبحانه فشأنها غير الشأن؛ فإنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها، وفاطرها، فهو إلهها، ومعبودها، ووليها، ومولاها، وربها، ومدبرها، ورازقها، ومميتها، ومحييها؛ فمحبته نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس، وقوت القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، وعمارة الباطن، فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة والعقول الزاكية أحلى ولا ألذُ ولا أطيبُ، ولا أسرُ، ولا أنعمُ من محبته، والأنس به والشوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتمُ من كل نعيم، واللذة التي ينالها أعلى من كل لذة... إلى أن قال رحمه الله:" ووجَدَانُ هذه الأمور، وذوقُها هو بحسب قوة المحبة، وضعفها، وبحسب إدراك جمال المحبوب، والقرب منه. وكلما كانت المحبةُ أكملَ، وإدراك المحبوب أتم، والقرب منه أوفر- كانت الحلاوةُ، واللذةُ، والنعيمُ أقوى. فمن كان بالله سبحانه وأسمائه وصفاته أعرف، وفيه أرغب، وله أحب، وإليه أقرب - وجد من هذه الحلاوة في قلبه ما لا يمكن التعبير عنه، ولا يُعْرَف إلا بالذوق والوَجْد. ومتى ذاق القلب ذلك لم يُمْكِنْهُ أن يقدِّم عليه حُبًّا لغيره، ولا أنسًا به، وكلما ازداد له حبًّا ازداد له عبودية، وذلًا، وخضوعًا، ورِقًّا له، وحرية عن رق غيره ". اهـ (إغاثة اللهفان ص:٥٦٧)

٨- محبة الله تجعل المرء يتذوق طعم الإيمان:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ.**

فالإيمانُ له حَلاوةٌ وطَعمٌ يُذاقُ بالقُلوبِ، كما تُذاقُ حَلاوةُ الطَّعامِ والشَّرابِ بالفَمِ، وكما أنَّ الجَسدَ لا يَجِدُ حَلاوةَ الطَّعامِ والشَّرابِ إلَّا عندَ صِحَّتِه، فكذلك القَلبُ إذا سَلِمَ مِن مرَضِ الأهواءِ المُضلَّةِ والشَّهواتِ المُحرَّمةِ، وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ، ومتى مَرِضَ وسَقِمَ لم يَجِدْ حَلاوةَ الإيمانِ، بلْ قدْ يَستحْلِي ما فيه هَلاكُه مِن الأهواءِ والمعاصي. ومَن وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ استلذَّ الطَّاعاتِ، وآثَرَها على أغراضِ الدُّنيا، وتحمَّلَ المشَاقَّ في سَبيلِ اللهِ تعالَى. **فالخَصلةُ الأُولى:** أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحَبَّ إليه ممَّا سِواهما، ومَحبَّةُ اللهِ تَنشَأُ مِن مَعرفةِ أسمائِه وصِفاتِه، والتَّفكيرِ في مَصنوعاتِه، وما فيها مِن الحِكَمِ والعَجائبِ، وتَحصُلُ مِن مُطالَعةِ نِعَمِه على العِبادِ؛ فإنَّ ذلك كلَّه يدُلُّ على كَمالِه وقُدرتِه، وحِكمتِه وعِلمِه ورَحمتِه، ومَحبَّةُ العبدِ لِخالقِه سُبحانه وتعالَى تَقودُ العبْدَ إلى الْتزامِ شَريعتِه وطاعتِه، والانتهاءِ عمَّا نَهى عنه.

ومَحبَّةُ الرَّسولِ ﷺ تابعةٌ لمَحَبَّةِ اللهِ، ويَلزَمُ مِن تلك المحبَّةِ اتِّباعُ النبيِّ ﷺ في أوامِرِه ونواهيه، كطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ويَجِبُ أنْ تكونَ مَحبَّةُ الرسولِ ﷺ في قلْبِ كلِّ مسلِمٍ أعظَمَ مِن مَحبَّتِه لنفْسِه، ومَحبَّتِه لأبيهِ وأُمِّه، وابنِه وبِنتِه، وزَوجتِه، وصَديقِه وأقارِبِه، والناسِ أجمعينَ. (الدرر السنية)

قال مالك بن دينار-رحمه الله-: " مساكين أهل الدنيا؛ خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: معرفة الله عز وجل ومحبته ".

٩- محبة الله سبب في غفران الذنوب:

لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لابد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله ﷺ في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول ﷺ دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول ﷺ فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص ". اهـ

١٠- محبة الله سبب في النجاة من عذاب يوم القيامة.

فالله عز وجل لا يعذب من يحبه، **وقد سُئل بعض العلماء:** أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟

فقال في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ (المائدة:١٨)

ففي هذه الآية زعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، فقال لهم الرسول ﷺ: فَلأيِّ شيء يعذِّبكم بذنوبكم؟ فلو كنتم أحبابه ما عذبكم، فالله لا يحب إلا من أطاعه.

وقال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " ومن مقالات اليهود والنصارى أن كلا منهما ادعى دعوى باطلة، يزكون بها أنفسهم، بأن قال كل منهما: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ والابن في لغتهم هو الحبيب، ولم يريدوا البنوة الحقيقية، فإن هذا ليس من مذهبهم إلا مذهب النصارى في المسيح.

قال الله ردًّا عليهم حيث ادعوا بلا برهان: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ ؟ فلو كنتم أحبابه ما عذبكم، لكون الله لا يحب إلا من قام بمراضيه". اهـ

وذكر الله حسرة أهل النار وقولهم لآلهتهم: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ(٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء:٩٧،٩٨)

ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق. وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم.

وهذا أيضا هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام:١)

أي يعدلون به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم.

١١- محبة الله سبب في الفوز بمعية الله تعالى يوم القيامة:

فقد أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: "أَنَّ رَجُلًا مِن أَهْلِ البَادِيَةِ أتَى النَّبيَّ ﷺ فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ! مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قالَ: ويْلَكَ! وما أعْدَدْتَ لَهَا؟ قالَ: ما أعْدَدْتُ لَهَا إلَّا أنِّي أُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ، قالَ: إنَّكَ مع مَن أحْبَبْتَ. فَقُلْنَا: ونَحْنُ كَذلكَ؟ قالَ: نَعَمْ. فَفَرِحْنَا يَومَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا ".

وقول النبي ﷺ:" **ويْلَكَ! وما أعددْتَ لها؟**"، والويلُ هو الدُّعاءُ بِالهلاكِ، وليس مَقصودًا هنا، وإنَّما هو تَعنيفٌ مِنَ النَّبيِّ ﷺ؛ لِيَنشغِلَ بِالأصلحِ له -وهو العملُ الصَّالحُ- لا بِموعدِ قيامِ السَّاعةِ. فقال له الرَّجلُ بعْدَ أنْ سَمِعَ مِنَ النَّبيِّ ﷺ ذلك:" **ما أعددْتُ لها إلَّا أنِّي أُحبُّ اللهَ ورَسولَه**"، ولم يذكُرْ غيرَها من العباداتِ القَلبيَّةِ والبَدَنيَّةِ والماليَّةِ؛ لأنها كُلَّها فروعٌ للمَحبَّةِ مترتِّبةٌ عليها، ولأنَّ المحبَّةَ هي أعلَى منازِلِ السَّائِرين، وأغلى مقاماتِ الصادقين؛ فإنها باعِثةٌ لمحبَّةِ اللهِ أو نتيجةٌ لها، فقال له ﷺ:" **إنَّكَ مع مَن أحببْتَ**"، أي: معهم في الجنَّةِ. وليس المرادُ بالمَعِيَّةِ التساوي في الدَّرَجةِ والمنزِلةِ، بل المرادُ كَونُهم في الجنَّةِ بحيث يتمكَّنُ كُلُّ واحدٍ منهم من رؤيةِ الآخَرِ وإن بَعُد المكانُ؛ لأنَّ الحجابَ إذا زال شاهَدَ بَعضُهم بعضًا، وإذا أرادوا الرُّؤيةَ والتلاقي قدَروا على ذلك. فقال الصَّحابةُ رِضوانُ اللهِ عليهم:" **ونحْنُ كذلك**"، أي: نحْنُ أيضًا نُحبُّ اللهَ ورسولَه، فهل نكونُ مع مَن أحبَبْنَا؟ فقال لهمُ النَّبيُّ ﷺ:" **نَعمْ**"، فَفرِحوا بذلك فرحًا شديدًا.

- ***وفي رواية:*** " **جاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ! متى قيامُ السَّاعةِ؟ فقام النَّبيُّ ﷺ إلى الصَّلاةِ، فلمَّا قضى الصَّلاةَ قال:" أينَ السَّائلُ عنِ القيامةِ "؟ قال الرَّجُلُ: أنا يا رسولَ اللهِ، قال:" ما أعدَدْتَ لها"؟ قال: يا رسولَ اللهِ! ما أعدَدْتُ لها كبيرَ صلاةٍ ولا صومٍ إلَّا أنِّي أُحِبُّ اللهَ ورسولَه، فقال النَّبيُّ ﷺ:" المرءُ مع مَن أحَبَّ، وأنتَ مع مَن أحبَبْتَ"، فقال أنَسٌ ﷺ: ما رأَيْتُ المُسلِمينَ فرِحوا بشيءٍ بعدَ الإسلامِ مِثْلَ فرَحِهم بها ".**

قال بعض العارفين: يكفي للمحبين شرفًا هذه المعية.

وقال سحنون-رحمه الله-: ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة لأن رسول الله ﷺ قال:" **المرءُ مع مَن أحَبَّ**"، فهم مع الله في الدنيا والآخرة.

علامات محبة العبد لله تعالى

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٥٤).

ففي هذه الآية أربع علامات من علامات محبة العبد لربه تعالى:

العلامة الأولى: الذلة على المؤمنين:

والمراد لين الجانب، وخفض الجناح، والرأفة، والرحمة للمؤمنين، **كما قال تعالى لرسوله:** ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥) ووصف أصحابه بمثل ذلك في قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩). وهذا يرجع إلى أن المحبين لله يحبون أحباءه، ويعودون عليهم بالعطف، الرأفة، والرحمة. وهذا بخلاف المنافقين الذين هم في غاية الشدة على المؤمنين، وفي غاية الذلة على الكافرين.

العلامة الثانية: العزة على الكافرين:

والمراد الشدة، والغلظة عليهم، **كما قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ٧٣)

وهذا يرجع إلى أن المحبين الله يبغضون أعداءه؛ وذلك من لوازم المحبة الصادقة.

العلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله:

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: " ثلاثة أصول لأهل محبة الله تعالى: إخلاص دينهم، ومتابعة رسوله ﷺ، والجهاد في سبيله ". اهـ

ومجاهدة الأعداء تكون باليد وباللسان، وذلك أيضًا من تمام معاداة أعداء الله، الذي تستلزمه المحبة. وأيضًا فالجهاد في سبيل الله فيه دعاء الخلق إلى الله، وردهم إلى بابه بالقهر لهم والغلبة، **كما قال تعالى:** ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)

قال مجاهد-رحمه الله- وغيره: يعني كنتم خير الناس للناس، فخير الناس للناس أنفعهم لهم، ولا نفع أعظم من الدعاء إلى التوحيد والطاعة، والنهي عن الشرك والمعصية.

العلامة الرابعة: أنهم لا يخافون في الله لومة لائم:

والمراد أنهم يجتهدون فيما يرضى به من الأعمال، ولا يبالون بلومة من لامهم في شيء منه، إذا كان فيه رضا ربهم. وهذا من علامات المحبة الصادقة أن المحب ينشغل - بما يرضي به حبيبه ومولاه، ويستوي عنده من حمده في ذلك أو لامه، وكذلك محبَّة رسوله ﷺ واتِّباع سنَّته والتمسُّك بها، ومحاربة كلِّ بدعة تخالف طريقتَه، **قال الحسن البصري-رحمه الله-:**" ادَّعى قوم محبَّة الله، **فأنزل الله آية الاختبار:** ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١).

العلامة الخامسة: الموافقة:

فيعطي لله، ويبغض لله، ويحب لله، فيغضب العبد لغضب الله، ويرضى لرضاه، ويقدم ما يحبه الله على حظِّ نفسه وهواه.

قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (سورة ص: ٢٦)

والعبد إما أن يكون متبعًا للهدى أو متبعًا للهوى. **قال تعالى:** ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠)

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: يقول تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ الرجل الضال الذي {اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} فما هويه سلكه سواء كان يرضي الله أو يسخطه. ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية ولا يزكو عليها. ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ﴾ فلا يسمع ما ينفعه، ﴿وَقَلْبِهِ﴾ فلا يعي الخير ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ تمنعه من نظر الحق، ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد يهديه وقد سد الله عليه أبواب الهداية وفتح له أبواب الغواية، وما ظلمه الله ولكن هو الذي ظلم نفسه وتسبب لمنع رحمة الله عليه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ما ينفعكم فتسلكونه وما يضركم فتجتنبونه ". اهـ

قال أبو يعقوب النهرجوري-رحمه الله-: كل من ادعى محبة الله جل جلاله ولم يوافق الله في أمره؛ فدعواه باطلة، وكل مُحب ليس يخاف الله فهو مغرور.

وسئل ذو النون المصري-رحمه الله- : متى أحب ربي؟ قال:" إذا كان ما يبغضه عندك أَمَرَّ من الصبر.
(جامع العلوم والحكم لابن رجب ص:١٥٠)

وقال بشر بن السَّري-رحمه الله- :" ليس من علامة الحب؛ أن تحب ما يبغض حبيبك ". **(المصدر السابق)**

وقال يحيى بن معاذ-رحمه الله- :" ليس بصادق من ادعى محبة الله، ولم يحفظ حدوده ".

وقال رُويم-رحمه الله- : المحبة الموافقة في جميع الأحوال، **وأنشد:**

ولو قال لي مُتْ مُتُّ سَمعًا وطاعةً وقلتُ لِداعي الحقِ أَهْلًا وَمَرحَبَا

والعبد لا يجد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى يكره أن يرجع إلى الكفر، كما يكره أن يُلقى في النار؛ ولهذا كان الحب في الله والبغض في الله من أصول الإيمان. **(مجموع رسائل ابن رجب:١/١٧١)**

العلامة السادسة: الرضا بالقضاء:

كان عامر بن عبد قيس-رحمه الله- يقول: " أحببت الله حبًا سهل عليَّ كل مصيبة، ورضاني بكل قضية، فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت ".

كما قال بعضهم:

لا تخدعـن فللحبيب دلائـــل ولديه من تحف الحبيب وسائل

منها تنعمـــه بمُـرِّ بلائـــه وسروره في كل ما هـو فاعـل

- وعندما قدم سعد بن أبي وقاص ﷺ مكة وكان قد كف بصره أسرع إليه الناس كل يسأله الدعاء وكان مُجاب الدعوة، فجعل يدعو لهذا ولهذا فقيل له: أنت مجاب الدعوة وتدعو للناس فهلا دعوت لنفسك أن يرد الله بصرك؟ فتبسم وقال: قضاء الله عندي أحب إلي من رد بصري ". (جنة الرضا: ٤٢/٣)

هذا الموقف يظهر رضاه بقضاء الله وقدره وتسليمه بأمره، وأن ما قضاه الله وقدره هو أحب إليه من أي شيء آخر حتى لو كان بصره.

- وقد انكسر ظفر إحدى الصالحات من السلف، فتبسمت وقالت: أنساني حلاوة ثوابه مرارة وجعه.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث صهيب بن سنان الرومي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له ".**

العلامة السابعة: الحياء من الله:

فالمحب الصادق في حبه لله -عز وجل- يستحي أن يراه حبيبه في وضع مشين، أو مكان لا يحب أن يراه فيه، فإذا ما وقع في معصية أو تقصير سارع بالاعتذار إليه واسترضائه بشتى الطرق. بل إن أي بلاء يتعرض إليه يجعله قلقًا بأن يكون هذا البلاء مظهرًا من مظاهر لوم الله له وغضبه عليه، لذلك تجده حينئذ يهرع إلى مولاه يسترضيه ويتذلل إليه ويستغفره، ويطلب منه العفو والصفح.

العلامة الثامنة: التضحية من أجل الله تعالى:

المحبة الصادقة لله تعالى تدفع صاحبها لبذل كل ما يملكه -حتى لو كانت نفسه- من أجل نيل رضا محبوبه، وليس ذلك فحسب بل إنه يفعل ذلك بسعادة، وكل ما يتمناه: أن تحوز هذه التضحية على رضا الله. **قال تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١).

العلامة التاسعة: بغْض ما يبغضه الله تعالى من الكفر والكافرين، والفسق والفاسقين، وكل الصفات المذمومة والأفعال المرذولة.

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾

(سورة الحجرات: ٧)

يقول السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " والله تعالى يحبب إليكم الإيمان، ويزينه في قلوبكم، بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره، وبما ينصب على الحق من الشواهد، والأدلة الدالة على صحته، وقبول القلوب والفطر له، وبما يفعله تعالى بكم، من توفيقه للإنابة إليه، ويكره إليكم الكفر والفسوق، أي: الذنوب الكبار، والعصيان: هي ما دون ذلك من الذنوب بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر، وعدم إرادة فعله، وبما نصبه من الأدلة والشواهد على فساده، وعدم قبول الفطر له، وبما يجعله الله من الكراهة في القلوب له ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الذين زين الله الإيمان في قلوبهم، وحببه إليهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ﴿هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ أي: الذين صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم، والصراط المستقيم. وضدهم الغاوون، الذين حبب إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان، والذنب ذنبهم، فإنهم لما فسقوا طبع الله على قلوبهم، ولما ﴿زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ولما لم يؤمنوا بالحق لما جاءهم أول مرة، قلب الله أفئدتهم ". اهـ

وأخرج البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ** ".

فالله عز وجل يبغض الكفر والكافرين، والشرك والمشركين، والنفاق والمنافقين، وَلَا يُحِبُّ الظلم والظَّالِمِينَ، وَلَا يُحِبُّ الاعتداء والْمُعْتَدِينَ، وَلَا يُحِبُّ الخيانة والْخَائِنِينَ، ولا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا، ولا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَلَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ، وَلَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا، ويُبغِضُ الفاحِشَ المُتفَحِّشَ، ويُبغِضُ كلَّ عالِمٍ بالدنْيا، جاهِلٍ بالآخِرَةِ، ويكرَه: قيلَ وقالَ، وإضَاعَةَ المَالِ، وكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وأَبْغَضُ الأماكن إليه الأَسْوَاق، وهناك من الأمور التي يبغضها الله ولا يحبها، فالعبد المحب لله عليه أن يبغض كل ما يبغضه الله تعالى من الصفات المذمومة، والأفعال المرذولة، وهذه علامة على محبته لله تعالى.

العلامة العاشرة: التلذذ بالعبادة وسرعة المبادرة إليها:

كلما ازداد حب العبد لربه ازدادت مبادرته لطاعته واستمتاعه بذكره، وكان هذا الحب سببًا في استخراج معاني الأنس والشوق إلى محبوبه الأعظم، والتعبير عنها من خلال ذكره ومناجاته.

قال أحد الصالحين: مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى، ومعرفته، وذكره ".

- **ومن أعظم العبادات التي تدل على محبة العبد لربه: الصلاة.**

فالصلاة صِلةٌ بين العبدِ وربِّه، وهي قرة عين العبد ومنتهى راحته، وهي علامة على محبة العبد لربه، وتعظيم أمره.

وقد كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر هرع إلى الصلاة؛ *كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود وأحمد عن حذيفةَ رضي الله عنه قالَ:* كانَ النَّبيُّ ﷺ إذا حزبَهُ أمرٌ صلَّى[1] ". (صحيح أبي داود: ١٣١٩)

وكان النبي ﷺ يقُولُ لبلال رضي الله عنه:".. يا بلالُ أقِمِ الصلاةَ، أرِحْنا بها ".

(أخرجه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود: ٤٩٨٥، وصحيح الجامع:٧٨٩٢)

وقول النبي ﷺ:" يا بلالُ، أَقِمِ الصَّلاةَ، أَرِحْنا بها"، أي: ارْفَعْ أذانَ الصَّلاةِ وأَقِمْها؛ لِنَستريحَ بِها، وكأنَّ دُخولَه فيها هو الرَّاحةُ مِنْ تَعَبِ الدُّنيا ومَشاغِلِها؛ لِمَا فيها مِنْ مُناجاةٍ للهِ تعالى وراحةٍ للرُّوحِ والقَلْبِ، وطَلَبُ الرَّاحةِ في الصَّلاةِ يَصْدُرُ ممَّنْ كان خاشعًا فيها ومُحِبًّا لها، وإنْ كانت ثَقيلةً على البعضِ؛ **كما قال اللهُ:** ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥).

وأخرج الإمام أحمد والنسائي واللفظ له من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: " حُبِّبَ إليَّ من الدُّنيا: النساءُ، والطِّيبُ، وجُعِلتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ[2]". (صحيح الجامع:٣١٢٤).

قال ابن حجر-رحمه الله-:" وفي الحديث عظم قدر الصلاة فإنه ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها، وذلك لأنها محل المناجاة والقربى، ولا واسط فيها بين العبد وربه، ولا شيء أقر لعين العبد منها ".

(فتح الباري:١١ / ٣٤٥)

١- إذا حزَبَه أمرٌ صلَّى: أي إذا أحزَنَه أمرٌ أو أصابه همٌ لجَأ إلى الصَّلاةِ، سواءٌ كانتْ فرضًا أو نافلةً. لأنَّ في الصَّلاة راحةً وقُرَّةَ عينٍ له، وهذا مِصداقُ قولِه تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ٤٥)

- وجاء في عون المعبود:٣/ ١٢١": حزبه: قال في" النهاية" أي: نزل به أمرٌ مهم، أو أصابه غمّ، وروي بالنون: أي حزنه؛ من الحزن.

٢- وجُعِلتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ: وهذا بيانٌ لعظيمِ محبَّتِه لها؛ وذلكَ لِما فيها مِن القُرْبِ من المولَى عزَّ وجلَّ؛ فلا شيءَ يُسعِدُه ويُدخِلُ عليه السُّرورَ بمِثْلِ ما تُدخِلُ عليه الصَّلاةُ؛ فقُرَّةُ العينِ يُعبَّرُ بها عنِ المَسرَّةِ ورؤيةِ ما يُحِبُّه الإنسانُ. قال السندي-رحمه الله- في" حاشية سنن النسائي: ٧٣١٣":" وليس له قريرة العين فيما سواه، فمحبته الحقيقة ليست إلا لخالقه تعالى.

وقال ابن القيم-رحمه الله-: " فَقُرَّةُ العين فوق المحبة، فجعل النساء والطيب مما يحبه، وأخبر أن قرة العين التي يطمئن القلب بالوصول إليها ومحض لذته وفرحه وسروره وبهجته إنما هو بالصلاة التي هي صلة بالله وحضور بين يديه ومناجاة له، واقتراب منه، فكيف لا تكون قرة العين! وكيف تقر عين المحب بسواها! ومن قرت عينه بصلاته في الدنيا قرَّت عينه بقربه من ربه في الآخرة وقرت عينه به أيضًا في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، فقرة عين المحب ولذته ونعيم روحه في طاعة محبوبه بخلاف المطيع كرها، المتحمل للخدمة ثقلًا، الذي يرى أنه لولا ذل القهر ما أطاع، فهو يتحمل طاعته كالمكره الذي أذله مُكْرِهه وقاهره، بخلاف المحب الذي يعد طاعة محبوبه قوتًا ونعيمًا ولذة وسرورًا، فهذا ليس الحامل له على الطاعة والعبادة والعمل ذل الإكراه؛ بل تكون دواعي قلبه وجواذبه منساقة إلى الله طوعًا ومحبة وإيثارًا كجريان الماء في منحدره، يتم تلقائيًا بكل يسر وسهولة، وهذا حال المحبين الصادقين فإن عبادتهم طوعًا ومحبة ورضا ففيها قرة عيونهم وسرور قلوبهم ولذة أرواحهم ". اهـ

وأخرج البخاري من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ قال: **كانَ النبيُّ ﷺ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حتَّى تَرِمَ قَدَماهُ - أَوْ سَاقَاهُ - فيُقَالُ له فيَقولُ: أَفلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا.**

- ***وفي رواية:*** **" قامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حتَّى تورَّمت قدماهُ أو ساقاهُ فقيلَ لهُ أليسَ قد غفرَ اللَّهُ لكَ ما تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تأخَّرَ قالَ أفلا أكونُ عبدًا شكورًا ".** **(أخرجه أبو يعلى من حديث أنس بن مالك ﷺ)**

- ***يقول عبد الله بن مسعود ﷺ:*** **" من كان في الصلاة فهو يقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يوشك أن يفتح له ".**

- ***وقال بكر بن عبد الله المزني-رحمه الله-:*** من مثلك يا ابن آدم؟ إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن دخلت، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: تسبغ الوضوء وتدخل محرابك، فإذا أنت قد دخلت على مولاك تكلمه بلا ترجمان.

وقال ابن القيم-رحمه الله-: " إذا وقف في الصلاة صاحب القلب العامر بمحبة الله وخشيته والرغبة فيه وإجلاله وتعظيمه، وقف بقلب مخبت خاشع له قريب منه، سليم من معارضات السوء، وقد امتلأت أرجاؤه بالهيبة وسطع فيه نور الإيمان وكشف عنه حجاب النفس ودخان الشهوات، فيرتع في رياض معاني القرآن، وخالط قلبه بشاشة الإيمان بحقائق الأسماء والصفات وعلوها وجلالها الأعظم، وتفرد الرب سبحانه بنعوت جلاله وصفاته فاجتمع همه على الله وقرت عينه به وأحس بقربه من الله قربًا لا نظير له ففرغ قلبه له، وأقبل عليه بكليته، وهذا الإقبال منه بين إقبالين من ربه، فإنه سبحانه أقبل عليه أولًا فانجذب قلبه بإقباله، فلما أقبل على ربه حظى منه إقبالًا آخر أتم من الأول ".

العلامة الحادية عشر: غيرة العبد لله، وغيرته على الله تعالى:

فالغيرة لله: أن يكره ما يكره، **والغيرة على الله:** أن يغار إذا عُصِي، وانتهك حقه، وضيع أمره، فهذه غيرة المحب حقا، والدين كله تحت هذه الغيرة.

فعندما يتمكن حبُّ الله تعالى في قلب العبد، فإن هذا من شأنه أن يجعله يغار لمولاه، وعلى محارمه أن تنتهك، وحدوده أن تُتَجاوز، وأوامره أن تُخالف.

وأقوى الناس دينًا أعظمهم غيرة. *وقد قال النبي* ﷺ: " أَتَعْجَبُونَ مِن غَيْرَةِ سَعْدٍ، واللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ منه، واللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي...". **(أخرجه البخاري من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه)**

فمحب الله يغار لله على قدر محبته وإجلاله، وإذا خلا قلبه من الغيرة لله تعالى؛ فهو من المحبة أخلى، وإن زعم أنه من المحبين، فمن ادعى محبة محبوب من الناس، وهو يرى أنه تنتهك حرمته، ويُستهين بحقه، ويستخف بأمره، وهو لا يتحرك فيه ساكن، لا يغار لذلك، فهو كاذب في دعوة المحبة.

فكيف يصح لعبد أن يدعي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه إذا انتُهكت، ولا لحقوقه إذا ضيعت، وهذه الغيرة هي الحاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا خلا القلب من الغيرة لله، وعلى الله فتراه لا يقوم بهذه الفريضة – فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر–.

والعبد مع شفقته على العصاة، إلا أن هذا لا يمنعه من بغضه لتصرفاتهم التي تغضب ربه، ولو كانت من أقرب الناس إليه. **قال تعالى:** ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة:٤)

العلامة الثانية عشر: كثْرة تلاوة القرآن الكريم بالتدبر والتفكر.

قال عثمان بن عفان ﷺ: " لو طهرت قلوبكم؛ ما شبعتم من كلام ربكم".

قال ابن مسعود ﷺ: " من أحب أن يعلم أنه يحب الله ورسوله فلينظر؟ فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله ".

وقال عروة البارقي-رحمه الله-: " حب الله -عز وجل-: حب القرآن، وحب الرسول ﷺ: العمل بسنته ".

وقال أحمد بن أبي الحواري-رحمه الله- : سمعت ابن عيينة يقول: لا تبلغوا ذروة هذا الأمر؛ حتى لا يكون شيءٌ أحب إليكم من الله-عز وجل-، فمن أحب القرآن فقد أحب الله ".

فمَن أحبَّ الله تعالى أدمن تلاوة كلامه، وما التذَّ بغير مناجاته وترْديد آياته.

كما قيل:

إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ حُبِّي فَلِمْ هَجَرْتَ كِتَابِي

أَمَا تَأَمَّلْتَ مَا فِيــه مِنْ لَذِيــذِ خِطَابِي

قال ابن القيم-رحمه الله-:" ومنها- أي من علامات المحبة -: الإقبال على حديثه، وإلقاء سمعه كلِّه إليه، بحيث يفرغ لحديثه سمعه وقلبه، كما قال القائل: المحبون لا شيء ألذ لهم ولقلوبهم من سماع كلام محبوبهم، وفيه غاية مطلوبهم؛ ولهذا لم يكن شيء ألذ لأهل الجنة من سماع القرآن، ***وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود ﷺ أنه قال:*** **قالَ لي النَّبيُّ ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قالَ: فإنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِن غَيرِي، فَقَرَأْتُ عليه سُورَةَ النِّسَاءِ، حتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١)، قالَ: أمْسِكْ، فَإذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ".**

(روضة المحبين ص:٢٦٧) باختصار.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا قارئًا أن يقرأ وهم يستمعون.

العلامة الثالثة عشر: الغنى بالله تعالى:

ومع كل الثمار السابقة تأتي أهم ثمرة للمحبة ألا وهي الاستغناء بالله سبحانه وتعالى، والاكتفاء به ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ٧٣)، فينعكس ذلك على تعاملات العبد مع الأحداث التي تمر به، فإن ادلهمت الخطوب استشعر معية الله له ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة:٤٠)، وإن تشابكت أمامه الأمور تذكر فردد في نفسه ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء:٦٢)

العلامة الرابعة عشر: كثرة ذكر الله تعالى:

فمن أحبَّ شيئًا أكثر من ذكره؛ ***قال الرَّبيع بن أنس-رحمه الله-:*** علامة حبِّ الله كثرة ذِكْرِه، والشَّوق إلى لقائه، فمَن أحبَّ شيئًا أكثر ذِكْرَه وأحبَّ لقاءه ".

وقال ابن القيم-رحمه الله- في روضة المحبين: " من علامات المحبة: كثرة ذكر المحبوب، واللهجُ بذكره وحديثه، فمن أحبَّ شيئًا أكثر من ذكره بقلبه ولسانه ".

يقول عنترة بن شداد وهو يتفاخر بذكر محبوبته أثناء الحرب:

ولقد ذكرتك والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

فهو أراد أن يظهر شدة محبته لها، فأعلمها أنه يذكرها في الحرب أثناء شدة القتال، وفي هذا الوقت لا يذكر أحدٌ أحدًا. وهذا حال البشر مع البشر، فكيف بحالهم مع رب البشر؟

فمن علامات محبة العبد لله أنه يذكره في كل أحواله، حتى في لحظات الحرب وشدة القتال.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً[1] فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **(الأنفال: ٤٥)**. فذكر الله في الحرب عند القتال من العلامات الدالة على محبته، لأن الإنسان في حالة الخوف ينسى كل شيء، همه أن يقي نفسه الهلاك، وألا يُقْتَل، ففي تلك اللحظة إذا ذكر الإنسان الله، فمعناه أن محبة الله مغروسة في نفسه، لدرجة أنه حتى في حالة الشدة يذكر الله تعالى.

يقول ابن القيم-رحمه الله- في كتابه" مدارج السالكين:٢/٤٢١": " الذِّكر منشورُ الولاية، الذي من أُعطيه اتّصل، ومن مُنِعه عُزِل، وهو قوتُ قلوبِ القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارةُ ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا. وهو منزلُ القوم الذي منه يتزودون، وفيه يَتَّجرون، وإليه دائمًا يترددون، وهو سلاحُهم الذي يقاتِلون به قُطَّاع الطريق، وماؤهم الذي يُطفِئون به التهابَ الطريق، ودواءُ أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسببُ الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علَّام الغيوب.

إذا مَرِضْنا تداوَيْنا بذِكرِكُمُ وَنَتْرُكُ الذِّكرَ أحيانًا فننتكسُ

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهونُ عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاءُ فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازلُ فإليه مفزعُهم، فهو رياض جنَّتِهم التي فيها يتقلَّبون، ورؤوسُ أموال سعادتهم التي بها يتَّجرون، يدعُ القلبَ الحزين مسرورًا. والذكر عبوديةُ القلب واللسان، وهي غيرُ مؤقتةٍ، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال؛ قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قِيعان، وهو غِراسها، فكذلك القلوب بورٌ خراب وهو عمارتُها وأساسها. وهو جِلاءُ القلوب وصِقالُها، ودواؤها إذا غَشِيَها اعتلالُها، وكلما ازداد الذاكرُ في ذِكره استغراقًا ازداد المذكورُ محبةً إلى لقائه واشتياقًا، زيَّن الله به ألسِنةَ الذاكرين، كما زيَّن بالنور أبصار الناظرين. وهو بابُ الله الأعظم المفتوحُ بينه وبين عبده، ما لم يُغلِقه العبد بغفلته ". اهـ

١- لَقِيتُم فِئَةً: يعني: في الحرب.

وقال ابن القيم أيضًا -رحمه الله- في المصدر السابق: وكما أن المحبة من نتائج الذكر، فإن الذكر أيضًا من نتائج الحب، فكل منهما يثمر الآخر، وزرع المحبة إنما يسقى بماء الذكر، وأفضل الذكر ما صدر عن المحبة، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه بغفلته ". **(روضة المحبين)**

وقال -رحمه الله- أيضًا: " الذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم ".

وقال -رحمه الله- أيضًا: " محبة الله تعالى ومعرفته، ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإراداته، هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين ".

قال ذو النون -رحمه الله-: " ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرةُ إلا بعفوه، ولا طابت الجنةُ إلا برؤيته ".

وقال -رحمه الله- أيضًا: " من اشتغل قلبه ولسانه بالذكر، قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه ".

(جامع العلوم والحكم ص:٧٦٨)

وقال مالك بن دينار -رحمه الله-: " ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله ".

كما جعل الله تعالى من الماء كل شيءٍ حي، وجعل الروح حياة للجسد، فقد جعل الذكر حياة للقلب واطمئنانه. ***فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ، والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والْمَيِّتِ ".**

فَنِسيَانُ ذِكْرِ اللهِ مَــوتُ قلوبِهم ... وأَجْسامُهم قَبْلَ القُبورِ قُبُـــورُ
وأرواحهم فِي وَحشَةٍ مِن جُسومِهم ... ولَيس لَهُم قَبْلَ النُّشُورِ نُشورُ

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: " الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ".

- والذكر أمان من الحسرة يوم القيامة:

فقد أخرج أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **" مَنْ قَعَد مَقعدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فيهِ؛ كانِ عَليهِ مِنْ اللهِ تِرَةٌ، ومَنْ اضطَجَعَ مُضَّجعًا لا يَذْكُرِ اللهَ فيهِ كَانَت عَلَيهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَا مَشَى أَحدٌ مَمْشًى لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ؛ إلَّا كَانَ عَلَيهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ[1] ".** **(صحيح الجامع:٦٤٧٧) (صحيح الترغيب والترهيب:٦١١)**

قال عمر بن عبد الله -رحمه الله- مولى غفرة بنت رباح (أخت بلال): " إذَا انْكَشَفَ الغِطَاءُ للنَاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ ثَوَابِ أعْمَالِهِمْ، لمْ يَرَوْا أفْضَلَ مِنَ الذِّكْرِ، فَيَتَحَسَّرُ عِنْدَ ذَلك أقْوَامٌ فَيَقُولُونَ: مَا كَانَ شَيءٌ أيْسَرَ عَلَيْنَا مِنَ الذِّكْرِ".

فسبحان من زين بالذكر ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل عن ذكر الله كالعين العمياء، والأُذن الصماء، واليد الشلاء.

١- وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث مُعاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لَيْسَ يَتحَسَّر أهْلُ الجنَّةِ إلا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرُوا اللهَ تَعَالى فِيهَا". وقد صحح الشيخ الألباني هذا الحديث في (صحيح الجامع: ٥٤٤٦) (الصحيحة:٢١٩٧) ثم تردد الشيخ رحمه الله بعد ذلك في صحة هذا الحديث فقال: في صحيح الجامع: هو أقرب إلى الضعف". اهـ. وهو بالفعل إلى ضعفه أقرب.

العلامة الخامسة عشر: أن يكون أنسه بالخلوة والمناجاة.

فأقل درجات الحب: التلذذ بالخلوة بالحبيب، والتنعم بمناجاته، فمن ذاق من خالص محبة الله؛ شغله ذلك عن طلب الدنيا، وأوحشه من جميع البشر.

قال الفضيل -رحمه الله- : طوبى لمن استوحش من الناس، وكان الله أنيسه.

ففي القلب شعث؛ لا يَلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته.

قال مسلم بن يسار -رحمه الله-: ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله، عجبت للخليقة كيف أنست بسواك، بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبهم بذكر سواك.

قال ذو النون -رحمه الله-: إن من علامات المحبين لله ترك كل ما يشغله عن الله، حتى يكون الشغل بالله وحده، ثم قال: إن من علامات المحبين لله: أنهم لا يأنسوا إلا به، ولا يستوحشوا معه.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ومنها- أي علامات المحبة - حب الوحدة والأنس بالخلوة، والتفرد عن الناس، وكأن المحب قد ثبت على ذلك، فلا شيء أحلى للمحب الصادق من خلوته وتفرده؛ فإنه إن ظفر بمحبوبه أحب خلوته به وكره من يدخل بينهما غاية الكراهة.

وقال -رحمه الله- أيضًا: " فإن المحب يستأنس بذكر محبوبه، وكونه في قلبه لا يفارقه، فهو أنيسه وجليسه، لا يستأنس بسواه، فهو مستوحش ممن يشغله عنه. (روضة المحبين ص:٢٨١) باختصار.

وقال -رحمه الله- أيضًا: " المحب يهرب إلى العزلة والخلوة بمحبوبه والأنس بذكره، كهرب الحوت إلى الماء، والطفل إلى أمه ".

وقيل لمحمد بن نصر: أما تستوحش وحدك؟ قال:" كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني ".

العلامة السادسة عشر: قيام الليل:

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم عن عمرو بن عَبسة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن** ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٢٧) (صحيح الجامع: ١١٧٣)

وجوف الليل الأخير أفضل الساعات لمناجاة رب العالمين وهو وقت النزول الإلهي إلى السماء الدنيا لإجابة دعاء السائلين والعفو من المذنبين، وإعطاء السائلين.

كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " **ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له** ".

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عمرو بن عبسة ﷺ أنه سئل النبي ﷺ في حديث طويل وفيه:

".....أي الساعات أفضل؟ قال جوف الليل الآخر....". (الصحيحة:٥٥١)

وعند الطبراني في الكبير بلفظ **" أفضل الساعات جوف الليل الأخير"**. (صحيح الجامع:١١٠٦)

وقد مر بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي وفيه أن النبي ﷺ قال: **" عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم... ". *الحديث*.** (صحيح الجامع: ٤٠٧٩)

- ***قال المناوي- رحمه الله- في فيض القدير: ٤/٣٥١:*** " وقوله:" **قربة إلى ربكم**" نكر القربة إيذانًا بأن لها شأن ".

- ***وقال رجل للحسن البصري-رحمه الله-:*** " يا أبا سعيد! ما أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من الأعمال؟ قال: ما أعلم شيئًا يتقرب به المتقربون إلى الله أفضل من قيام العبد في جوف الليل إلى الصلاة".

(كتاب التهجد ص: ١٢١)

- ***وفي الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري:*** **" وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه....."**.

العلامة السابعة عشر: محبة الكعبة والمساجد؛ فهي دار المحبوب وبيته:

وسر هذه المحبة هي إضافة الكعبة إلى نفسه، **فقال تعالى:** ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾

(الحج:٢٦)

قال الشاعر:

لما انتسبتُ إليك صرت مُعَظَّمًا وعلوت قدرًا دون من لم ينسبُ

فكل ما نُسب إلى المحبوب فهو محبوب.

فمن علامات محبة الله؛ محبة المساجد، وقد ذكر الله تعالى في السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: رجلٌ قلبه معلقٌ بالمساجد". لشدة محبته للمساجد، حتى لو فارقها ببدنه، فقلبه كالقنديل المعلق بالمسجد.

قال النووي-رحمه الله- في "شرح صحيح مسلم": " ومعناه شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها".

وفي مصنف ابن أبي شيبة أن سلمان ﷺ كتب إلى أبي الدرداء ﷺ: **إن في ظل العرش رجلًا قلبه معلق في المساجد من حبها".**

وقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (النور: ٣٦-٣٨)

العلامة الثامنة عشر: الشوق إلى الله تعالى:

عندما يتمكن حب الله من قلب العبد، فإن هذا من شأنه أن يجعله دومًا حريصًا على اغتنام أية فرصة تتاح له فيها الخلوة به سبحانه وبذكره ومناجاته، وجمع قلبه معه.

العلامة التاسعة عشر: أن يكون مؤثرًا ما أحب الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه:

فيلزم مشاق العمل، ويجتنب اتباع الهوى، ويعرض عن دعة الكسل، ولا يزال مواظبًا على طاعة الله، ومتقربًا إليه بالنوافل، وطالبًا عنده مزايا الدرجات، كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه، والحب إذا غلب قمع الهوى، فلم يبق له تنعم بغير المحبوب.

قال سهل-رحمه الله-: علامة الحب إيثاره على نفسك..

وليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبًا، وإنما الحبيب من اجتنب المناهي.

وقال ابن القيم-رحمه الله-:" ومن علاماتها الانقياد لأمر المحبوب، وإيثاره على مراد المحب، بل يتحد مراد المحب والمحبوب، وهذا الاتحاد علامة المحبة الصادقة، بحيث يكون مراد الحبيب والمحبة واحدًا، فليس بمحب صادق من له إرادة تخالف مراد محبوبه منه ". اهـ باختصار (روضة المحبين ص:٢٦٥)

ويقول ابن القيم أيضًا-رحمه الله-:" يا منفقا بضاعة العمر في مخالفة حبيبه والبعد عنه، ليس في أعدائك أضر عليك منك ".

فعلامة محبة الله تعالى: أن يفعل العبد ما يحبه الله ولو كانت نفسه تكرهه، وأن يترك ما يكرهه الله ولو كانت نفسه تحبه.

يقول ابن القيم-رحمه الله-:" ما ابتلى الله سبحانه عبده المؤمن بمحبة الشهوات والمعاصي وميل نفسه إليها إلا ليسوقه بها إلى محبة ما هو أفضل منه وأنفع وأخير وأدوم وليجاهد نفسه على تركها لله فتورثه هذه المجاهدة محبة الله والوصول إلى المحبوب الأعلى، فكلما نازعته نفسه إلى تلك الشهوات واشتدت إرادته لها وشوقه إليها؛ صرف ذلك الشوق والإرادة بشوق أعظم ومحبة أكبر وهي محبة الله عز وجل".

(الفوائد:١/١١٠)

العلامة العشرون: محبة لقاء الله في دار السلام:

لا يتصور أن يحب القلب محبوبًا إلا ويحب لقاءه، وقد كان السلف الصالح لا يغفلون عن ذكره، ويأنسون به، ويحبون لقاءه.

فقد أخرج البخاري مسلم من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"... مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ... ".

ومَحبَّةُ اللِّقاءِ هي إيثارُ العبْدِ الآخرةَ على الدُّنيا، وعَدمُ حُبِّ طُولِ القيامِ في الدُّنيا، والاستعدادُ لِلارتحالِ عنها، والمرادُ بِاللِّقاءِ: المصيرُ إلى الدَّارِ الآخرةِ ولقاء الله تعالى.

فها هو معاذ بن جبل ﷺ يتشوق للقاء الله تعالى **فيقول لما حضره الموت:** "حبيب جاء على فاقة ".

والمحب لله في الغالب يستبطئ مجيء الموت، ويحب مجيئه ليتخلَّص من دار العاصين، وينتقل إلى جوار رب العالمين، **فهم يحبون الموت لان الموت السبيل الموصل للقاء الله تعالى.**

- *قال حذيفة ﷺ لما حضرته الوفاة:*" حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحبَّ إليَّ من الغنى، والسقم أحبَّ إليَّ من الصحة، والموت أحب إليَّ من العيش فسهِّل عليَّ الموت حتى ألقاك". (الثبات عند الممات لابن الجوزي: ص ١٢٢)

- *وفي "حلية الأولياء: ١٠/٩٤" عن حبان بن الأسود قال:*" الموت خير يُوصل الحبيب إلى الحبيب".

- *ولما احتضر زكريا بن عدي-رحمه الله- قال:*" اللهم إني إليك مشتاق، *قال بشر:* ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، ومَن زهد فيها أحب لقاء مولاه ".

- *قال أبو الدرداء ﷺ:*" أُحبُّ الفقر تواضعًا لربي، وأحب الموت اشتياقًا لربي، وأحب المرض تكفيرًا لخطيئتي ". (شرح الصدور: ص ١٥).

وقال بشر الحافي-رحمه الله-:" لا يكره الموت إلا مريب، لأن الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه ".

ولما علم الله عز وجل شوق عباده المحبين له، ضرب لهم موعدًا بينه وبينهم؛ وهو الموت.

فقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾ (سورة العنكبوت: ٥)

الأسباب الجالبة لمحبّة العبد لربه تعالى:

والأسباب الجالبة لمحبّة العبد لربه سبحانه والموجبة لها، وهي عشرةٌ[1]:

أحدها: قراءة القرآن بالتّدبُّر والتّفهُّم لمعانيه وما أُريد به، كتدبُّر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهَّم مراد صاحبه منه.

تجد أن البعض يقرأ القرآن ويكثر من قراءته، والغرض من ذلك هو أن يختم القرآن أكثر من ختمة، وهذا فيه خير كبير وأجره عظيم، ولكن تجده مع هذا لا يتدبر في آية من آيات المصحف، **وهذا مخالف لقول رب العالمين:** ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص:٢٩)

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: " لا تهذُّوا القرآن كهذِّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحرّكوا به القلوب ". (رواه البيهقي في" الشعب").

وقال الحسن بن علي-رضي الله عنهما-: " إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها بالنهار". (التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص:٢٨)

وقال الإمام القرطبي-رحمه الله-: قال العلماء: " يجب على القارئ إحضار قلبه، والتفكر عند قراءته، لأنه يقرأ خطاب الله الذي خاطب به عباده، فمَن قرأ ولم يتفكر فيه- وهو من أهل أن يدركه بالتذكر والتفكر- كان كمن لم يقرأه، ولم يصل إلى غرض القراءة من قراءته، فإن القرآن يشتمل على آيات مختلفة الحقوق، فإذا ترك التفكر والتدبر فيما يقرأه استوت الآيات كلها عنده، فلم يدع لواحدة منها حقها، فثبت أن التفكر شرط في القراءة، يتوصل به إلى إدراك أغراضه ومعانيه، وما يحتوي عليه من عجائبه".

(التذكار في أفضل الأذكار ص:١٩٥)

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي-رحمه الله- في" كتاب الإتقان في علوم القرآن":١/ ١٠٦":

" وتسن القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب....وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظه به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان قصَّر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوَّذ، أو تنزيه نزَّه وعظَّم، أو دعاء تضرَّع وطلب ".اهـ

وقال محمد بن كعب القرظي-رحمه الله-: " مَن بلغه القرآن فكأنما كلَّمه الله، وإذا قدَّر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله، ويعمل بمقتضاه.

(إحياء علوم الدين:١/ ٥١٦)

١- وهذه الأسباب العشر الجالبة لمحبّة العبد لربه سبحانه؛ ذكرها ابن القيم في كتابه " مدارج السالكين:٣/ ٢٨١" دون شرح لها.

وذكر الغزالي-رحمه الله- عن بعض العلماء أنه قال: " هذا القرآن رسائل أتتنا من قِبل ربنا ﷻ بعهوده، نتدبَّرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات والسنن المتَّبَعات ". (المصدر السابق)

وقال وهيب بن الورد-رحمه الله-: " نظرنا في هذه الأحاديث فلم نجد شيئًا أرق للقلوب، ولا أشد استجلابًا للحزن، من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره ".

وقال ابن القيم-رحمه الله- في كتابه الفوائد ص:٩": " إذا أردت الانتفاع بالقرآن فأحضر قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به -سبحانه- إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ، **قال تعالى:** ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق: ٣٧) وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفًا على مؤثِر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه؛ تضمنت الآية بيانَ ذلك كله، بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد، **فقوله:** ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى هنا، وهذا هو المؤثر، **وقوله:** ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله، **كما قال تعالى:** ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ(٦٩) لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ (يس: ٦٩،٧٠) أي: حي القلب. وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ؛ أي: شاهد القلب، حاضر غير غائب.

وقال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " **وقوله تعالى:** ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ أي: ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، جميع المطالب الدينية، فهو مشتمل عليها أتم اشتمال، وهو يذكر العقول، ما ركز اللّه في فطرها من الأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح. ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ أي: مبين لما يطلب بيانه. ولهذا حذف المعمول، ليدل على أنه مبين لجميع الحق، بأدلته التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه، أنزله اللّه كذلك على رسوله. ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أي: حي القلب واعيه، فهو الذي يزكو على هذا القرآن، وهو الذي يزداد من العلم منه والعمل، ويكون القرآن لقلبه بمنزلة المطر للأرض الطيبة الزاكية ". اهـ

فعلى الإنسان أن يحدد لنفسه وقتًا زمنيًا يقرأ فيه وردًا من القرآن، بغض النظر عن الكم الذي يقرأه، لكن عليه أن يتفكر ويتدبر فيما يقرأه، ولو لم يخرج من هذه الجلسة إلا بجزء بسيط من القرآن، وهذا أفضل وأنفع له. وكان السلف الصالح يؤكدون على أن تدبر القرآن وتفهمه - إلى جانب كونه مطلبًا دينيًا- فهو وسيلة تربوية ناجحة لشفاء القلوب من قسوتها، والأعين من جمودها.

السبب الثّاني: التّقرُّب إلى الله بالنّوافل بعد الفرائض، فإنّها تُوصِله إلى درجة المحبوبيّة بعد المحبّة.

ومن المعلوم أن أداء الفرائض من أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى، وأن مؤديها على تمامها موعود بالفلاح، ***كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ قال:*** **جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ مِن أهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ ولَا يُفْقَهُ ما يقولُ، حتَّى دَنَا، فَإِذَا هو يَسْأَلُ عَنِ الإسْلَامِ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: خَمْسُ صَلَوَاتٍ في اليَومِ واللَّيْلَةِ. فَقالَ: هلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قالَ: لَا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ. قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: وصِيَامُ رَمَضَانَ. قالَ: هلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قالَ: لَا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ. قالَ: وذَكَرَ له رَسولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ، قالَ: هلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قالَ: لَا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ. قالَ: فأدْبَرَ الرَّجُلُ وهو يقولُ: واللَّهِ لا أزِيدُ علَى هذا ولَا أنْقُصُ، قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: أفْلَحَ إنْ صَدَقَ ".**

ولئن كان مثل هذا الرجل قد وقع وثيقة حبه لربه، بحفاظه على الفرائض بلا زيادة ولا نقصان؛ فإن الله تعالى عبادًا قد أبت نفوسهم إلا أن تكون الأعلى في منازل القرب من الرحمن؛ فلم تصبر نفوسهم إلا أن ترقى إلى حيازة النوافل بعد إدمان الفرائض، وبذلك نالوا درجة المحبوبية بعد منزلة المحبة وشتان شتان ما بين الدرجتين! فأين من يحب ربَّه ممن يحبه ربُّه؟!

واستمع لهذا الحديث، ليتبيّن لك الفارق بين المنزلتين- وفي كلٍّ خير- ***فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى:*** **"... وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ..".**

ففي هذا الحديث القدسي يظهر لك طريق الوصول إلى محبة الله تعالى، وأن بداية الطريق الاجتهاد في الفرائض، كما قيل: أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وحسن النية فيما عند الله. والفرائض هي رأس المال. وبعد أن يستكمل العبد الفرائض؛ يجتهد في النوافل، والنوافل ما عدا الفرائض من أجناس الطاعات.

قال الحافظ ابن رجب-رحمه الله- في شرحه للحديث السابق: "المراد بهذا الكلام: أن من اجتهد بالتقرب إلى الله بالفرائض ثم النوافل قرَّبه إليه، ورقَّاه إلى درجة الإحسان، فيصير يعبدُ الله على الحضورِ والمراقبةِ كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه، حتى يصيرَ هذا الذي في قلبه مشاهدًا له بعين البصيرة.

ولا يزال هذا الذي في قلوب المحبِّين المقرَّبين يقوى حتى تمتلئَ قلوبهم به، فلا يبقى في قلوبهم غيره، ولا تستطيع جوارحُهُم أن تنبعث إلا بموافقة ما في قلوبهم، ومن كان حالُه هذا؛ قيل فيه: ما بقي في قلبه إلا الله، والمراد: معرفته ومحبته وذكره، وقال بعض العارفين:" احذروه؛ فإنه غيورٌ، لا يُحِبُّ أن يرى في قلب عبده غيره ". اهـ

وقد سُئل بعض أهل العلم: " ما بال النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله دون الفرائض؟ فأجاب: بأن العبد يفعل الفريضة مخافة العقوبة ورجاء التحبب إلى الله، فلما خلصت النية في النوافل؛ كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله دون الفرائض، وإنما تسمى النافلة نافلة؛ لأنها تأتي زيادة على الفرض، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ومن الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ (الإسراء: ٧٩)، فهي نافلة في حق النبي ﷺ لكمال فرائضه.

قال الحافظ ابن رجب–رحمه الله–: " قسم الله تعالى أولياءه المقربين إلى قسمين:

أحدهما: من تقرب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات؛ لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده.

والثاني: من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل، فظهر بذلك أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله تعالى وولايته ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله، فمن ادعى ولاية الله والتقرب إليه ومحبته بغير هذه الطريق تبين أنه كاذب في دعواه ". **(جامع العلوم والحكم:٢/٣٣٦)**.

والنوافل كثيرة متنوعة؛ لاختلاف استعدادات الناس وقبولهم لها، ودرجة إيمانهم، فهناك نوافل في الصلاة: كالسنن الرواتب؛ اثنتي عشرة ركعة، وقيام الليل، وسنة الضحى، وتحية المسجد، ونوافل في الصيام: كيوم عرفة، ويوم عاشوراء، وست من شوال، والأيام البيض؛ ثلاثة عشرة، وأربع عشرة، وخمسة عشرة، وصيام الاثنين والخميس، ونوافل الحج والعمرة، والصدقات، والصلاة على النبي ﷺ.

فطريق المحبة طريق العبادة والطاعة؛ فكلما اجتهد العبد في الطاعات يزداد قربًا وحبًا، **كما قال تعالى:** ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ (العلق:١٩)

السبب الثّالث: دوام ذكره على كلِّ حالٍ: باللّسان والقلب، والعمل والحال. فنصيبُه من المحبّة على قدر نصيبه من هذا الذِّكر.

ومن أعظم فضائل الذكر أن الله تعالى يذكر من يذكره، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة:١٥٢)

يقول أهل العلم: لو لم يكن في الذكر من الفضائل إلا هذه الآية لكانت كافية في الحث على لزومه والإكثار منه. فليس العجب من فقير يلجأ إلى غني، ولا من ضعيف يلجأ إلى قوي، وليس العجب من قوله تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ إنما العجب من قوله ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ فمن نحن حتى يذكرنا الله سبحانه إن ذكرناه، بل ذكره لنا أكبر وأفضل من ذكرنا له.

يقول ابن عباس–رضي الله عنهما–: " **ذكر الله إياكم؛ أكبر من ذكركم إياه** ".

قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت:٤٥).

قيل ومن تفسيرها: إن ذكر الله للعبد الذي يذكره أكبر وأفضل من ذكر العبد لله ".

(تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/٤٦٥)

ودليل ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **قال الله: يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك؛ ذكرتُك في نفسي، وإن ذكرتني في مَلإٍ ذكرتك في مَلإٍ من الملائكة أو في مَلإٍ خير منهم، وإن دنوتَ منِّي شبرًا دنوتُ منك ذراعًا، وإن دنوتَ منِّي ذراعًا دَنَوتُ مِنكَ بَاعًا، وإن أتيتني تَمشي أَتيتُك أُهَرْوِلُ** ". (صحيح الجامع: ٤٣٣٧) (وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **يقولُ الله: أنا عنْد ظنِّ عبدي بي، وأنا معهُ إذا ذَكرَني. فإن ذكرني في نَفْسِهِ ذكرتُهُ في نفسي، وإنْ ذكرني في ملأ ذكرتُهُ في ملأ خيرٍ منهُمْ** ".

إن ذلك الفضل الذي لا يصفه لفظ، ولا يعبِّر عن شكره إلا سجود القلب.

يقول يحيى بن معاذ –رحمه الله-: " يا غَفُول يا جَهُول! لو سمعتَ صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك مولاك، لَمُتَّ شوقًا إلى مولاك ". (حلية الأولياء لأبي نعيم: ١٠/٥٦)

وقال الحسن البصري –رحمه الله-: " **إنَّ الله يذكر من يذكره، ويزيد من يشكره** " فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. فقال الحسن: " **﴿فَاذْكُرُونِي﴾ فيما افترضت عليكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ فيما أوجبت لكم على نفسي** ".

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بطاعتي ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بمغفرتي ورحمتي. (قاله سعيد بن جبير رحمه الله)

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالدعاء ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالإجابة والإحسان والعطاء.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالشوق والمحبة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالوصال والقربة.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالاستغفار ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بغفران ذنوبكم والتجاوز عن سيئاتكم.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالصبر ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بأوفى الأجر.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالتوكل وتفويض أموركم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالكفاية.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالتذلل ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالتفضل.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالحمد والثناء ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالمنن والعطاء.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالإخلاص ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالخلاص ومزيد الاختصاص.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ باللسان ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالأمان.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بقلوبكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتحقيق مطلوبكم.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالحب ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بنيل القرب.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالتعظيم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالتكريم.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالشكر ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالمزيد (قاله القرطبي).

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ في النعمة والرخاء ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ في الشدة والبلاء.

فذكر الله سبب لذكره لكَ في الملأ الأعلى، وكفى بهذا شرفًا.

- **والذكر يجعل الإنسان في معية الله الخاصة فيكون في كلأ الله وحفظه ورعايته ونصرته.**

وقد أخرج الإمام أحمد والطبراني وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هُريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

" إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي[1] إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ". (صحيح الجامع: ١٩٠٦)

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" قالَ اللَّهُ تَعالَى:" أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي ".

قيل لمحمد بن نصر-رحمه الله-: أما تستوحش وحدك؟ فقال: كيف أستوحش وهو القائل سبحانه:" أنا جليسُ من ذَكَرني".

- **والذكر كذلك محبب إلى الله تعالى والله يحب مَنْ يَذكُرُه.**

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" كَلِمَتانِ خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ، حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ ".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في الفتح: " وقد جعل الله لكل شيء سببًا، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فإن الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة، وشارعها الأعظم، وصراطها المستقيم ". اهـ

- **وقد حذر رب العالمين من الغفلة عن ذكره:**

قال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً[2] وَدُونَ الْجَهْرِ[3] مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾

(الأعراف:٢٠٥)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(المنافقون:٩)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " يأمر الله عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره فإن ذلك الربح والفلاح والخيرات الكثيرة، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله، وفي ذلك الخسارة العظيمة ". اهـ

---

١ - قال ابن بطال: معنى الحديث:" أنا مع عبدي زمان ذكره لي" أي: أنا معه بالحفظ والكلاءة، لا أنه سبحانه معه بذاته حيث حلَّ العبد. (شرح السنة: ١٤/٥).
تنبيه: معية الله للذاكر تكون إذا اتفق القلب واللسان، لقوله سبحانه:" أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه"، فإذا اجتمع القلب واللسان فإن الله تعالى يكون مع الذاكر المعية الخاصة التي تتضمن الإعانة والتوفيق.

٢ - ﴿خِيفَةً﴾: خوفا من الله تعالى.

٣ - ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ﴾: أي تسمع نفسك دون غيرك.

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزمر: ٢٢)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: ٤/٢٣٢": قوله ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي لا تلين لكتابه، ولا تتذكر آياته، ولا تطمئن بذكره، بل هي معرضة عن ربها، ملتفتة إلى غيره، فهؤلاء لهم الويل الشديد، والشر الكبير، ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وأي ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه؟ ومن كل السعادة في الإقبال عليه، وقسا قلبه عن ذكره، وأقبل على كل ما يضره؟!!". اهـ

السبب الرّابع: إيثار مَحابِّه على مَحابِّك عند غلبات الهوى، والتّسنُّم إلى مَحابِّه وإن صعُبَ المرتقى.

فمن الناس من يؤثر هواه على رضا الرحمن، فهذا الصنف يضله الله ويختم على سمعه وبصره.

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " يقول تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ الرجل الضال الذي ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ فما هويه سلكه سواء كان يرضي الله أو يسخطه. ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية ولا يزكو عليها. ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ﴾ فلا يسمع ما ينفعه، ﴿وَقَلْبِهِ﴾ فلا يعي الخير ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ تمنعه من نظر الحق، ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد يهديه وقد سد الله عليه أبواب الهداية وفتح له أبواب الغواية، وما ظلمه الله ولكن هو الذي ظلم نفسه وتسبب لمنع رحمة الله عليه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ما ينفعكم فتسلكونه وما يضركم فتجتنبونه ".

قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (سورة ص: ٢٦)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " وقوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تنفذ فيها القضايا الدينية والدنيوية، ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ أي: العدل، وهذا لا يتمكن منه، إلا بعلم بالواجب، وعلم بالواقع، وقدرة على تنفيذ الحق، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ فتميل مع أحد، لقرابة أو صداقة أو محبة، أو بغض للآخر ﴿فَيُضِلَّكَ﴾ الهوى ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ويخرجك عن الصراط المستقيم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ خصوصا المتعمدين منهم، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ فلو ذكروه ووقع خوفه في قلوبهم، لم يميلوا مع الهوى الفاتن ".

قال ابن القيم-رحمه الله-: " إيثار رضى الله عز وجل على غيره، وهو يريد أن يفعل ما فيه مرضاته، ولو أغضب الخلق، وهي درجة الإيثار وأعلاها للرسل عليهم صلوات الله وسلامه، وأعلاها لأولي العزم منهم، وأعلاها لنبينا محمد ﷺ. وذا كله لا يكون إلا لثلاثة أمور: ١- قهر هوى النفس ٢- مخالفة هوى النفس. ٣- مجاهدة الشيطان وأوليائه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " يحتاج المسلم إلى أن يخاف الله وينهى النفس عن الهوى، ونفس الهوى والشهوة لا يُعاقب عليه، بل على اتباعه والعمل به، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها، كان نهيه عبادة لله، وعملًا صالحًا ". (مجموع الفتاوى:١٠/٦٣٥).

فعند غلبات الهوى يظهر من بكى ممن تباكى، ويتمايز من يحب ربه حقًّا وصدقًا ممن يدَّعي ذلك قولًا ولفظًا وهو بعيد عن حقيقة المحبة بعد المشرقين؛ فالمحب الصادق لله إذا تعارض هواه مع مراد ربه، فإنه لا يتردد لحظة واحدة في أن يُمضي ما يُرضي الله تعالى على هوى نفسه وشهواتها، وانظر كيف قارن الله تعالى بين هذين الصنفين؛ **فقال عز وجل:** ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٣٧-٤١). فمن نهى نفسه عن غيها وهواها، ومنعها مرادها إيثارًا لمحاب الله على محاب نفسه؛ فهذا هو الموعود بسكنى الجنان في الدارين، فأما جنة الدنيا؛ فهي محبة الله ورضوانه، وأما جنة الآخرة؛ ففي دار النعيم الخالد والسعادة الأبدية، بجوار أرحم الراحمين، مع النبي ﷺ وحزبه. وسر ذلك أن الجزاء من جنس العمل؛ فكما ترك المحب ما تحبه نفسه وتهواه من أنواع الشهوات، إيثارًا لمحاب ربه على محاب نفسه؛ فكان أن عوضه الله تعالى بمحبة أعظم محبوب وهي محبة الله تعالى.

السبب الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلُّبه في رياض هذه المعرفة: فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبَّه لا محالةَ.

وهذا الباب الذي يدخل منه خواصّ أولياء الله العارفين به، وهو باب المحبين حقًّا الذي لا يدخل منه غيرهم، ولا يشبع من معرفته أحدٌ منهم، كلما بدا لهم منه علم؛ ازدادوا شوقًا ومحبة إلى الله، فإذا انضمّ داعي الإحسان والإنعام إلى داعي الكمال والجمال لم يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها وأبعدها عن كل خير، فإن الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه، وإذا كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده؛ فمن المعلوم أنه لا أحد أعظم إحسانًا من الله، ولا شيء أكمل من الله، ولا شيء أجمل من الله، فكل جمال وكمال في المخلوق أصلًا من آثار صنعة الله تعالى.

لا يُوصف جلاله وجماله، ولا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه بجميل صفاته وعظيم إحسانه وبديع أفعاله بل هو كما أثنى على نفسه، **وها هو النبي ﷺ أعرف خلقه به وأحبهم إليه يقول:** " **لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك** ". (رواه مسلم) فلا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه البتة.

كل اسم من أسمائه تعالى وكل صفة من صفاته تقود إلى محبته؛ محبة تنطلق من هذا الاسم ومن هذه الصفة ومن هذا الفعل، فهو المحبوب المحمود على كل ما فعل وكل ما أمر؛ إذ ليس في أفعاله عبث ولا في أوامره سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة، وكل واحد من هذه يستوجب حمدًا وثناء على الله تعالى.

فإذا لله الأسماء والصفات التي يُحَبُّ لأجلها، ومن تأمل في أسمائه وصفاته ازداد محبة له، ولو شهد العبد بقلبه صفةً واحدة لله من أوصاف كماله استدعت المحبة التامة فكيف إذا شهد بقية الصفات فكيف إذا شهد الأسماء والأفعال، وما نعلمه نحن عن الله وأسمائه وصفاته ليس إلا كنقرة عصفور في بحر.

ولا نعرف الله تعالى معرفة مشاهدة بالعين؛ بل ما عرفناه إلا من خلال الأسماء والصفات، وما وصل إلى العباد من العلم بالله عن طريق الوحي، وما رأوه في الواقع هو آثار أسماء الله وصفاته فاستدلوا بما علموه على ما غاب عنهم فكيف لو شاهدوا ذات الرب ووجه الكريم؟! ولذلك فلو شاهدوه ورأوا جلاله وجماله وكماله سبحانه؛ لكان لهم في حبه شأن آخر، ولذلك إذا رأوه في الجنة أشغلهم عن كل نعيم آخر.

وإنما تتفاوت منازلهم ومراتبهم في محبته على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته والعلم به، ولذلك كانت رسله أعظم الناس حبًّا له، فهم أعرفهم به، وكذلك العلماء هم أكثر الناس محبة لله؛ لأنهم يعرفون من الأسماء والصفات ومعاني الأسماء والصفات وآثارها ما لا يعرفه عامة الناس، وهذا بحر لو تبحر فيه الناس ما وصلوا إلى منتهاه. وكلما أكثر القلب من مطالعة أسماء الله وصفاته وأفعاله؛ ازدادت محبته له وتظهر هذه المحبة من مطالعة الصفات بإثباتها أولا، ومعرفتها ثانيا، ونفي التحريف والتعطيل والتمثيل والتشبيه والتكييف عنها. وكم حُرِم من هذا النعيم نفاة الصفات الذين ينفون أن لله وجهًا وسمعًا وبصرًا، وينفون أن له محبةً وبغضًا.

قال ابن القيم–رحمه الله–: " من تأمَّل أسماءَ اللهِ وصِفاتِه وتعلَّق قَلبُه بها، طَرَحه ذلك على بابِ المَحَبَّةِ، وفَتَح له من المعارفِ والعلومِ أمورًا لا يُعَبَّرُ عنها ". **(مفتاح دار السعادة:٢/٨١١)**

وقال ابن القيم أيضًا–رحمه الله–:" فإن أوصاف المدعو إليه، ونعوت كماله وحقائق أسمائه، هي الجاذبة للقلوب إلى محبته وطلب الوصول إليه؛ لأن القلوب إنما تحب من تعرفه وتخافه وترجوه، وتشتاق إليه وتلتذ بقربه وتطمئن إلى ذكره، بحسب معرفتها بصفاته ". **(مدارج السالكين ص: ٨٦٠)**

وهذا المعنى قرره الحسن البصري–رحمه الله– بعبارة وجيزة عندما قال:" مَن عرَف ربَّه أحبَّه، ومن عرف الدنيا زهد فيها". **(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص:٣٣٢)**

فإذا حصلت المعرفة، تبعتْها المحبة، وهل في الوجود أجلُّ وأعلى، وأشرف وأكمل، وأعظم مِن خالق الأشياء ومبدعها، ومبديها ومعيدها ومدبِّرها؟!

وكلما ازداد العبد علمًا بالله وأسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته؛ ازداد حبًا له، وخوفًا منه، وتوكلًا عليه، ***قال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله- في" كتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص: ٤٠٦":*** " كُلَّما ازدادت مَعرِفةُ العَبدِ برَبِّه ازدادت هيبتُه له وخشيتُه إيَّاه، **كما قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨) أي: العُلَماءُ به، **وقال النبيُّ** ﷺ:" **إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية**".

(أخرجه البخاري ومسلم من حَديثِ عائشة رَضِيَ اللهُ عنها).

وقال ابنُ كثير-رحمه الله-: " إنَّما يخشاه حَقَّ خَشيتِه العُلَماءُ العارفون به؛ لأنَّه كُلَّما كانت المعرفةُ للعظيمِ القديرِ العليمِ الموصوفِ بصِفاتِ الكَمالِ المنعوتِ بالأسماءِ الحُسنى؛ كُلَّما كانت المعرفةُ به أتمَّ، والعِلمُ به أكمَلَ- كانت الخشيةُ له أعظَمَ وأكثَرَ". **(تفسير ابن كثير:٦/ ٥٤٤)**

وقال الدكتور ضياء الدين الجماس: إن التفكر الدائم المستمر بأسماء الله تعالى، وفهم معانيها؛ يجعل القلب محبًا لهذه الذات العظيمة، الكاملة. الجميلة. فالقلب مفطور على حب الكمال والجمال الإلهي ".

(التفكر في الأسماء طريق العلماء)

وأخرج البخاري من حديث عائشة-رضي الله عنها- **أنَّ النبيَّ** ﷺ **بَعَثَ رَجُلًا علَى سَرِيَّةٍ[1]، وكانَ يَقْرَأُ لأصْحَابِهِ في صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بقُلْ هو اللَّهُ أحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذلكَ للنبيِّ** ﷺ**، فَقالَ: سَلُوهُ لأيِّ شيءٍ يَصْنَعُ ذلكَ؟، فَسَأَلُوهُ، فَقالَ: لأنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وأَنَا أُحِبُّ أنْ أقْرَأَ بهَا، فَقالَ النبيُّ** ﷺ**: أخْبِرُوهُ أنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ ".**

السبب السّادس: مشاهدة برِّه وإحسانه وآلائه ونِعَمِه الباطنة والظّاهرة، فإنّها داعيةٌ إلى محبّته.

الإنسانُ بفطرته محبٌّ وأسير لمن أسدى إليه إحسانًا، ويكون الحب أشدَّ عندما تعظم النِّعم، وأعظم النعم: النعم الباقيةُ التي لا تنفد ولا تبيد، ولا تُعَدُّ ولا تحصى، وهذا النوع من النِّعم لا يجده البشر إلا في خزائن الله، **قال تعالى:** ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ(٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ(٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم:٣٢-٣٤)، والتأمُّل في هذه النعم؛ فهو يدعو إلى محبَّة المنعم؛ **قال تعالى:** ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النحل: ٥٣)، **وقوله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠)، إلى غير ذلك من الآيات.

فإن العبد أسير الإحسان كما يقولون، فالإنعام والبر واللطف، معاني تسترق مشاعره، وتستولي على أحاسيسه، وتدفعه إلى محبة من يسدي إليه النعمة، ويهدي إليه المعروف، ولا منعم على الحقيقة ولا محسن إلا الله. ***وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله*** ﷺ:" **أحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكم به من نِعَمِه، وأحِبُّونِي لحُبِّ اللهِ، وأحِبُّوا أهْلَ بَيْتِي لحُبِّي ".**

١- سَرِيَّةٍ: هي القطعة من الجيش، سميت سرية لأنها تسري في خفية.

السبب السّابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكلّيّته بين يدي الله تعالى، وليس في التّعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

والانكسار بمعنى الخشوع، وهو الذل والسكون.

وقد عرف أهل العلم الخشوع بأنه: هيئة في النفس يظهر منها على الجوارح سكون وتواضع نتيجة استقرار اليقين في القلب بلقاء الله تعالى.

والخشوع في الصلاة معناه: هو حضور الذهن فيما يقوله ويفعله المصلي ومعرفه حق من يقف أمامه ويناجيه مما يؤدي إلى تذلل القلب وخضوعه إقرارًا لهذا الحق ومن ثم اطمئنان الجوارح وسكينتها.

وقيل: هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره فإذا خشع القلب تتبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء.

ولذلك ثبت عن النبي ﷺ في صحيح مسلم أنه كان يقول في صلاته: **" خَشَعَ لكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي، [وما استقلت به قدمي لله رب العالمين [1]] ".**

يقول الراغب الأصفهاني–رحمه الله–: " الخشوع: الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب، ولذلك قيل إذا ضرع القلب: خشعت جوارحه ".

وقال ابن القيم–رحمه الله–: " الحق أن الخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة والذل والانكسار ".

وإن كانت الألفاظ لا تسع التعبير عن حقيقة هذا المعنى الإيماني الرفيع؛ فإن من أعظم ما يتضمنه ذلك الانكسار خشوع القلب وخضوعه لخالقه ومولاه، بحيث يستشعر العبد ذلة العبودية أمام ربه وخالقه، فالخشوع على هذا المعنى ينبغي أن تكون حالة عامة؛ وتعرض خصوصًا للإنسان في أوقات قربه من الله تعالى. فالخشوع مطلوب من المرء في عامة أمره؛ لا في حال الصلاة فحسب، وإن كانت الصلاة موضعًا لظهور الخشوع، والعبد أقرب ما يكون إلى ربه فيها، فالخشوع روحها وأحسن آدابها، وهي مظنة حضوره واستدعائه، فالخشوع أثناء الصلاة لا ينفك عن خشوع القلب خارجها، أما أن يكون المرء غافلا طوال الأوقات، ويريد أن يكون خاشعًا في الصلوات فهيهات هيهات، **ولهذا قال تعالى:** ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (المؤمنون:١،٢).

فهم قد حققوا الإيمان أولا، فخشعت لذلك قلوبهم ثانيًا، وظهر أثر ذلك في صلاتهم، وفي بقية صفاتهم المذكورة في الآيات، قال مجاهد:" الخاشعون هم المؤمنون حقا ". (تفسير القرطبي:١/ ٣٧٥).

---

١ ـ ما بين القوسين أخرجها الإمام أحمد في "مسنده".

- وقد كان للسلف في الخشوع بين يدي الله أحوال عجيبة، تدل على ما كانت عليه قلوبهم من صفاء ونقاء.

قال ابن رجب-رحمه الله- في" كتابه الخشوع في الصلاة": " لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم الناسُ فيه لرب العالمين فانخلع قلبه وذهل عقله ".

- ***فها هو عبد الله بن الزبير-رضي الله عنهما-*** كان إذا قام في الصلاة، كأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره، لا تحسبه إلا جذع شجرة.

- وكان يصلى في جوف الكعبة وهو محاصر بجيش عبد الملك بن مروان الذي يسدد ضرباته بالمنجنيق من جبل أبي قبيس للقضاء عليه وعلى أتباعه ومرت فلقة من حجر عظيم بين لحيته وحلقه فما زال رضي الله عنه عن مقامه ولا ظهر على صورته هم ولا اهتمام ولا قطع قراءته ولا ركع دون ما يركع حتى فرغ من صلاته.

- ***وقال ميمون بن مهران-رحمه الله-:*** " ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتا في صلاة قط، ولقد انهدمت ناحية من المسجد؛ ففزع أهل السوق لهدتها، وإنه لفي المسجد يصلي فما التفت، وكان أهل بيته إذا دخل المنزل سكتوا، فإذا قام إلى الصلاة تكلموا وضحكوا ". **(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص:٢٦)**.

لقد كان هؤلاء يحيون صلاتهم؛ فتحيا قلوبهم بها، وتقر أعينهم فيها، وكيف لا تقر العيون بالصلاة الحية، ورسول الله يقول:"... **وجُعِلَت قُرَّةُ عَيني في الصَّلاةِ** ".

(رواه النسائي من حديث أنس بن مالك ﷺ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي:٣٩٤٠)

السبب الثّامن: الخلوة به وقتَ النُّزول الإلهيِّ، لمناجاتِه وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتّأدُّب بأدب العبودية بين يديه. ثمّ خَتْم ذلك بالاستغفار والتّوبة.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا [1] حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْألُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟**".

- ***وفي رواية عند مسلم:*** " **إذا مضى شَطرَ الليلِ أو ثُلثَاه، ينزلُ اللهُ إلى السماءِ الدنيا فيقولُ: هل من سائلٍ فيُعطَى؟ هل من داعٍ فيُستجابُ له؟ هل من مُستغفِرٍ فيُغفرُ له؟ حتى ينفجرَ الصُّبحُ** ".

وخَصَّ اللهُ عزَّ وجلَّ الثُّلُثَ الأخيرَ مِن اللَّيلِ بالنُّزولِ فيه؛ لأنَّه وَقتُ خَلوةٍ وغَفلةٍ واستِغراقٍ في النَّومِ واستلذاذٍ به، ومُفارقةُ اللَّذَّةِ والرَّاحةِ صَعبةٌ على العِبادِ؛ فمَن آثَرَ القِيامَ لمُناجاةِ ربِّه والتَّضرُّعِ إليه في غُفرانِ ذُنوبِه، وفَكاكِ رَقبتِه مِن النَّارِ، وسأَله التَّوبةَ في هذا الوقتِ الشَّاقِّ، على خَلوةِ نفْسِه بلَذَّتِها، ومُفارقةِ راحتِها وسَكَنِها-

---

١- يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا: هو نُزولٌ يَليقُ به جلَّ جَلالُه؛ فإنَّه يَجِبُ الإيمانُ بما ورَدَ في ذلك -وأمثالِه- عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ مِن غَيرِ تَكْييفٍ ولا تَعْطيلٍ، ومِن غيرِ تحريفٍ ولا تمثيلٍ، فيَنزِلُ ربُّنا سُبحانَه إلى السَّماءِ الدُّنيا، وهي السَّماءُ الأُولى القَريبةُ منَ الأرضِ والعِبادِ.

فذلك دَليلٌ على محبته لله، وخُلوصِ نيَّتِه، وصِحَّةِ رَغبتِه فيما عندَ ربِّه، فضُمِنت له الإجابةُ الَّتي هي مَقرونةٌ بالإخلاصِ وصِدقِ النِّيَّةِ في الدُّعاءِ؛ إذ لا يَقبَلُ اللهُ دُعاءً مِن قلْبٍ غافلٍ لاهٍ؛ فلذلك نبَّهَ اللهُ عِبادَه إلى الدُّعاءِ في هذا الوقتِ، الَّذي تَخْلو فيه النفْسُ مِن خَواطرِ الدُّنيا؛ لِيَستشعِرَ العبدُ الإخلاصَ لرَبِّه، فتَقَعَ الإجابةُ منه تعالَى؛ رِفقًا مِن اللهِ بخَلقِه، ورَحمةً لهم.

العبد لا يفلح ولا يصلح، ولا يتنعم ولا يبتهج، ولا يلتذ، ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه. وقيام الليل يعد من أبلغ الأدلة على محبة العبد لربه تعالى، وما أعظم هذا العبد المبارك الذي آثر لذة العبادة على لذة الوسادة، وقام يصف قدمه لله تعالى في الليل، طلبًا لرضا ربه، والتماسا لبركة وقت النزول الإلهي، وتعرضًا لمغفرة الله وإعانته.

وليس هناك من البشر أكثر محبة لله تعالى من النبي ﷺ لذا تراه يخلو بربه ويقوم الليل حتى ترم قدماه، وهذا دليل على كمال محبة النبي ﷺ لربه، وتحقيقًا لمعنى العبودية، وشكرًا لله تعالى على نعمه.

فقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: **" أن كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه فيقال له: فيقول: أفلا أكون عبدًا شكورًا ".**

– ***وفي رواية:*** **" قام النبي ﷺ حتى تورَّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبدًا شكورًا ".**

وقيام الليل أفضلُ الصلوات وأحبها إلى الله تعالى بعد المكتوبة، وهو صلة بين العبد وربه، وزاد المتقين، وطريق السالكين إلى رب العالمين، وهو غذاء للروح، وجلاء للقلب، وصفاء للنفس، وراحة للبال، وانشراح للصدر، وقوة للبدن، ونور في الوجه، وهو دليل على علو الهمة، وقوة الإيمان.

فطوبى للمتهجدين بالليل، أولئك الذين يرثون النور التام يوم القيامة، فقد قاموا في ظلمة الليل يتضرعون إلى ربهم، قلوبهم تحت العرش معلقة، وأجسادهم في الدنيا منتصبة، يقفون بين يدي مولاهم يرجون رحمته ويخافون عذابه. فيوم القيامة يعطيهم الله تعالى ما يرجون، ويؤمنهم مما يخافون.

يقول يزيد الرقاشي–رحمه الله–: " بطول التهجدِ تقرُّ عيونُ العابدين، وبطول الظمأ تفرحُ عند لقاء رب العالمين ". **(كتاب التهجد لابن أبي الدنيا ص: ٤٠٧)**

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩)

قال العلامة السعدي–رحمه الله– في" تفسيره: ٤/٣٢٦ ": " هذه مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره، وبين العالم الجاهل، وأن هذا من الأمور، التي تقرر في العقول، تباينها، وعلم علمًا يقينًا تفاوتها. فليس المعرض

عن طاعة ربه، المتبع لهواه، كمن هو قانت أي: مطيع لله، بأفضل العبادات، وهي الصلاة، وأفضل الأوقات، وهي أوقات الليل، وصفه بكثرة العمل وأفضله ثم وصفه بالخوف والرجاء. وذكر أن متعلق الخوف، عذاب الآخرة، على ما سلف من الذنوب وأن متعلق الرجاء، رحمة الله، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ ربهم ويعلمون دينه الشرعي، ودينه الجزائي، وماله في ذلك من الأسرار والحكم ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ شيئًا عن ذلك؟ لا يستوي هؤلاء، ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ إذا ذكروا ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي: أهل العقول الزكية الذكية. فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته، لأن لهم عقولًا، ترشدهم للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه ". اهـ

قال ابن المنكدر–رحمه الله–: " ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، وصلاة الجماعة ".

وقال أبو سليمان –رحمه الله–: " أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا ".

نفس المحب إلى الحبيب تطلّع — وفؤاده مـن حبـه يتقطع
عز الحبيب إذا خلا فـي ليلـة — بحبيبه يشكو إليـه ويضرع
وقـام في المحـراب يشكو بثه — والقلب منه إلى المحبة ينزع

وقول ابن القيم–رحمه الله–: " ثمّ خَتْم ذلك بالاستغفار والتّوبة": لقوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (سورة الذاريات: ١٨)

قال السعدي–رحمه الله– في تفسيره: وقوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ﴾ التي هي قبيل الفجر ﴿هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الله تعالى، فمدوا صلاتهم إلى السحر، ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل، يستغفرون الله تعالى، استغفار المذنب لذنبه، وللاستغفار بالأسحار، فضيلة وخصيصة، ليست لغيره، كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾". اهـ

فالله عز وجل حثنا على الاستغفار عقب العبادة، حتى لا نغتر بعبادتنا، أو لربما يقع نقص أو سهو في العبادة، فهذا الاستغفار يجبر هذا النقص؛ ولهذا يستحب الاستغفار " ثلاثًا" عقب الصلاة، وكذلك الاستغفار في فريضة الحج، **كما قال تعالى:** ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٩٩)، وكذلك بعد قيام ليلة القدر، يجلس العبد كالمذنب يطلب من مولاه أن يعفو عنه، وقد علم النبيُّ ﷺ عائشة– رضي الله عنها– أن تقول إذا وافقت ليلة القدر: " اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّى"، وكذلك بعد طول قيام العبد في الليل يستغفر ربه في الأسحار.

السبب التّاسع: مجالسة المحبِّين الصّادقين، والتقاط أطايبِ ثمراتِ كلماتهم كما تنتقي أطايبَ الثّمر، ولا تتكلَّم إلّا إذا ترجّحتْ مصلحة الكلام، وعلمتَ أنّ فيه مزيدًا لحالك ومنفعةً لغيرك.

أخرج البخاري ومسلم من حديث ابنِ مسعودٍ ﷺ قال: **جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ، كيف تقولُ في رجُلٍ أحَبَّ قومًا، ولم يَلحَقْ بهم؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: المرءُ مع من أحبَّ ".**

يعني: من أحَبَّ قومًا بالإخلاصِ يكونُ مِن زُمرتِهم، وإن لم يعمَلْ عَمَلَهم؛ لثبوتِ التَّقارُبِ بَيْنَ قلوبِهم، وربَّما تؤدِّي تلك المَحَبَّةُ إلى موافقتِهم، وفيه حثٌّ على مَحَبَّةِ الصُّلَحاءِ والأخيارِ؛ رجاءَ اللَّحاقِ بهم والخَلاصِ من النَّارِ. (عون المعبود:١٤/٢٥).

قال ابنُ بطَّالٍ-رحمه الله-: " فدَلَّ هذا أنَّ من أحَبَّ عبدًا في اللهِ فإنَّ اللهَ جامِعٌ بَينَه وبينَه في جنَّتِه، ومُدخِلُه مُدخَلَه، وإنْ قَصَّر عن عَمَلِه، وهذا معنى قولِه: "ولم يَلحَقْ بهم". يعني في العمَلِ والمنزلةِ، وبيانُ هذا المعنى -واللهُ أعلَمُ- أنَّه لمَّا كان المحِبُّ للصَّالحين وإنَّما أحبَّهم من أجلِ طاعتِهم للهِ، وكانت المَحَبَّةُ عمَلًا من أعمالِ القُلوبِ واعتقادًا لها، أثاب اللهُ مُعتَقِدَ ذلك ثوابَ الصَّالحين؛ إذ النِّيَّةُ هي الأصلُ، والعَمَلُ تابعٌ لها، واللهُ يؤتي فَضْلَه من يشاءُ ". (شرح صحيح البخاري:٩/٣٣٣).

وقال النَّوويُّ-رحمه الله-: " فيه فضلُ حُبِّ اللهِ ورَسولِه ﷺ، والصَّالحين وأهلِ الخيرِ الأحياءِ والأمواتِ ".
(شرح النووي على صحيح مسلم:١٦/١٨٦).

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: **" لولا ثلاث لما أحببت البقاء: لولا أن أحمل على جياد الخيل في سبيل الله، ومكابدة الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر ".**

وقول ابن القيم-رحمه الله- " ولا تتكلَّم إلّا إذا ترجّحتْ مصلحة الكلام، وعلمتَ أنّ فيه مزيدًا لحالك ومنفعةً لغيرك". ***فيدل على هذا الكلام ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ عن رسولِ اللهِ ﷺ قال:*** **" من كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيَقُلْ خيرًا أو ليَصمُتْ ".**

قال ابنُ عبدِ البَرِّ-رحمه الله-: " وفي هذا الحديثِ آدابٌ وسُنَنٌ، منها التَّأكيدُ في لُزومِ الصَّمتِ، وقولُ الخيرِ أفضَلُ من الصَّمتِ؛ لأنَّ قولَ الخيرِ غَنيمةٌ، والسُّكوتَ سلامةٌ، والغنيمةَ أفضَلُ من السَّلامةِ ".
(التمهيد:٢١/٣٥).

وقال النَّوويُّ-رحمه الله-: " وأمَّا قَولُه ﷺ:" **فلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَصمُتْ**" فمعناه: أنَّه إذا أراد أن يتكلَّمَ؛ فإن كان ما يتكلَّمُ به خيرًا محقَّقًا يثابُ عليه واجبًا أو مندوبًا، فلْيتكلَّمْ، وإن لم يظهَرْ له أنَّه خيرٌ يثابُ عليه فليُمسِكْ عن الكلامِ، سواءٌ ظهَر له أنَّه حرامٌ أو مكروهٌ أو مباحٌ مُستوي الطَّرفَينِ؛ فعلى هذا يكونُ الكلامُ المباحُ مأمورًا بتركِه، مندوبًا إلى الإمساكِ عنه؛ مخافةً من انجرارِه إلى المحرَّمِ أو المكروهِ، وهذا يقعُ في العادةِ كثيرًا أو غالبًا ". (شرح النووي على مسلم:٢/١٨).

السبب العاشر: مباعدة كلِّ سببٍ يحول بين القلب وبين الله عزّ وجلّ.

وأعظم سبب يحول بين القلب وبين الله تعالى هي الذنوب: فأنها تقسي القلب وتُميته إذا تكاثرت، ***ففي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:*** " **تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ** ".

وقال الحسن البصري-رحمه الله-: وقوله تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ (المطففين: ١٤)، قال: هو الذنب بعد الذنب حتى يموت القلب ". (تفسير الطبري: جامع البيان:٢٤/ ٢٨٨)

وقَالَ مُجَاهِدٌ-رحمه الله-: هُوَ الرَّجُلُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ، فَيُحِيطُ الذَّنْبُ بِقَلْبِهِ، ثُمَّ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُحِيطُ الذَّنْبُ بِقَلْبِهِ، حَتَّى تُغْشِيَ الذُّنُوبُ قَلْبَهُ ". (تفسير القرطبي:١٩/ ٢٥٩)

ولله درُّ ابن المبارك الإمام العالم لما يقول:

رأيتُ الذنوبَ تُميت القلوبَ ... وقد يورثُ الذلَّ إدمانُها

وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ ... وخيرٌ لنفسك عِصيانُها

(البداية والنهاية:١٠/ ١٤١)

أهكذا تفعل الذنوب بالقلب؟! نعم أخي الحبيب وأكثر من ذلك، ولك أن تعلم أن القلب هو المضغة التي إذا فسدت فسد سائر الجسد، ***كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري من حديث النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهِيَ القَلْبُ** ".

فبصلاح القلب تتصلح هذه الجوارح، لذا ينبغي الاهتمام بالقلب أكثر من اهتمامنا بالجوارح، والقلب أيضًا محل نظر الرب.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ اللهَ تعالى لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ، ولكنْ إنَّما ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم** ". (صحيح الجامع: ١٨٦٢)

فلا نجاة للعبد يوم لقاء الله تعالى إلا أن يأتي بقلب سليم خالٍ من الشهوات والشبهات.

قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ (الشعراء: ٨٨،٨٩)

وكان النبي ﷺ يسأل الله في دعائه ويقول: " **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا سَلِيمًا...**".

(رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ ﷺ) (السلسلة الصحيحة:٣٢٢٨)

فمن هذه الأسباب العشرة وصَلَ المحبُّون إلى منازل المحبّة، ودخلوا على الحبيب ". اهـ

السبب الحادي عشر: ومن الأسباب الجالبة لمحبَّة الله تعالى أيضًا: الدعاء، بأن يسأل العبدُ ربه أن يرزقه حبه:

وقد كان النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء الذي جاء ذكره في الحديث الطويل الذي أخرجه الترمذي وأحمد من حديث معاذ بن جبل ﷺ وفيه:"... اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ فعلَ الخيراتِ، وتركَ المنكراتِ، وحُبَّ المساكينِ، وأن تغفِرَ لي وترحمَني، وإذا أردتَ فتنةً في قومٍ فتوفَّني غيرَ مفتونٍ، وأسألُكَ حبَّكَ وحبَّ من يحبُّكَ، وحبَّ عملٍ يقرِّبُ إلى حُبِّكَ، قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: إنَّها حقٌّ فادرُسوها ثمَّ تعلَّموها ".

(صحيح الترمذي: ٣٢٣٥) (صحيح الجامع:٥٩) (صحيح الترغيب والترهيب:٤٥١)

- *وفي رواية:*... أن رب العالمين قال: يا محمَّدُ! قُلْ تُسمَعْ، وسَل تُعْطَه، قال: قُلتُ: فَعلِّمْنِي. قال: قُلْ اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ فِعلَ الخيراتِ، وتَركَ المنكَراتِ، وحُبَّ المساكينِ، وأن تَغفِرَ لي وتَرحمَني، وإن أردتَّ فِتنةً في قومٍ فَتوفَّني إليكَ وأنا غيرُ مَفتونٍ، اللَّهمَّ أسألُكَ حُبَّكَ، وحَبَّ مَن يُحِبُّكَ، وحُبًّا يُبَلِّغُني حُبَّكَ ".

بهذا الدعاء العظيم، كان سيد المحبين لربه، محمد ﷺ يناجي أعظم محبوب، وأجل مطلوب، ذلك رب العالمين، يعلن به محبته للمنعم الجليل، الحليم الودود، ويُعلِّم كذلك كل مؤمن قدر محبة الله، وأنها الجائزة العظمى، التي لا يجود الله تعالى بها إلا على خاصة عباده من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وقوله ﷺ:" **اللَّهمَّ إنِّي أسألُك فِعلَ الخيراتِ**"، أي: أطلُبُ مِنك العونَ على إقامةِ أَوامِرِ الدِّينِ والأعمالِ الصَّالحةِ، "**وتَرْكَ المنكَراتِ**"، أي: الأعمالِ المنهيِّ عنها مِن أقوالٍ وأفعالٍ تُوجِبُ الذُّنوبَ على صاحبِها، "**وحُبَّ المساكينِ**"، وقيل: المرادُ بالمساكينِ هنا: مَن كان قَلبُه مُستكينًا للهِ خاضِعًا له خاشعًا، ولأنَّ المساكينَ ليس عِندَهم مِن الدُّنيا ما يُوجِبُ مَحبَّتَهم لأَجلِه؛ فلا يُحِبُّون إلَّا للهِ عزَّ وجلَّ، والحبُّ في اللهِ مِن أوثَقِ عُرى الإيمانِ، والمُحِبُّ لأهلِ الإيمانِ وأهلِ طاعةِ اللهِ تعالى يَقرُبُ أن يَعمَلَ بعمَلِهم، "**وأن تَغفِرَ لي**"، أي: الذُّنوبَ والسَّيِّئاتِ،" **وترحَمَني**"، أي: تَشمَلَني برَحمتِك،" **وإذا أردتَ فِتنةً في قومٍ**"، أي: ضَلالةً أو عُقوبةً دُنيويَّةً،" **فتوَفَّني غيرَ مفتونٍ**"، أي: دونَ أن تَشمَلَني تلك الضَّلالةُ أو العُقوبةُ، "**وأسألُك حُبَّك وحُبَّ مَن يُحِبُّك، وحُبَّ عمَلٍ يُقرِّبُ إلى حُبِّك**"، أي: أنا طالبٌ لِمَحبَّةِ اللهِ، وحُبِّ العَملِ الَّذي يُؤدِّي فِعْلُه إلى التَّقرُّبِ مِن مَحبَّةِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

ثمَّ قال رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِه رضِيَ اللهُ عَنهم: "**إنَّها حقٌّ**"، أي: إنَّ تِلك الرُّؤيةَ حقٌّ، "**فادْرُسوها**"، أي: احْفَظوا تلك الرُّؤيةَ وما ورَد فيها مِن أوامِرَ ودُعاءٍ،" **ثمَّ تعلَّموها**" قيل: أي: لِتَعْلَموها فتكونَ سببًا لِمَعرفتِكم للأعمالِ الصَّالحةِ.

الثاني عشر: تذكر ما ورد في الكتاب والسنة من رؤية أهل الجنَّة لربهم وزيارتهم له واجتماعهم يوم المزيد.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ(٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم فازدادوا جمالا إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم ". اهـ

فرؤية وجه الله تعالى أفضل ما يعطاه أهل الجَنَّة، ومحبة الله في الدنيا هي الوقود والدافع لهذه اللحظة.

يقول ذو النون-رحمه الله-: " والله ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجَنَّة إلا برؤية وجهه".

ويقول ابن الأثير-رحمه الله- في" جامع الأصول: ١٠/ ٥٥٧": " رؤية الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة، والدرجة العليا في عطايا الله الفاخرة، بلغنا الله منها ما نرجو".

فرؤية الله في الجَنَّة هي أعلى الكرامات، وأفضل العطيات، وأسمى الهبات، وأقصى الأمنيات، وهي الغاية التي لا متجاوز بعدها، وهي المنتهى الذي ليس بعده شيء، وهي المتعة واللذة والنعيم الذي يتضاءل عنده أي نعيم وأي لذة".

وقد أخرج الإمام مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" إذا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: تُرِيدُونَ شيئًا أزِيدُكُمْ؟ فيَقولونَ: ألَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ ألَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟ قالَ: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فَما أُعْطُوا شيئًا أحَبَّ إليهِم مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عزَّ وجلَّ".**

- *وفي رواية أن النبي ﷺ قال:* **" إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ نادَى منادٍ: يا أهلَ الجنَّةِ إنَّ لكم عند اللهِ موعدًا يريدُ أنْ يُنجزُكموهُ. فيقولونَ: ما هو؟ ألمْ يُبيِّضْ وجوهَنا؟ ألم يُثقِّلْ موازينَنا؟ ألمْ يُدخِلنا الجنَّةَ ويُجِرْنا من النَّارِ؟ فيُكشفُ الحجابُ فينظرونَ إليه، فواللهِ ما أعطاهُم اللهُ شيئًا أحبُّ إليهم، ولا أقرُّ لأعيُنِهم من النَّظرِ إليه. وهو الزِّيادةُ ثمَّ تلا: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}** (يونس: ٢٦)".

وقد كان النبي ﷺ يدعو ويقول: **"... وأسألك لذَّة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضرَّاء مضرة، ولا فتنة مضلة...".** (رواه النسائي والحاكم عن عمار ﷺ، وهو في صحيح الجامع:١٣٠١)

فاللهم ارزقنا لذة النظر لوجهك الكريم... آمين

أقوال وأخبار السلف عن محبة الله عز وجل:

وقال يحيى بن معاذ-رحمه الله-: " ليس بصادق من ادعى محبة الله-عز وجل- ولم يحفظ حدوده ".

وقال أيضًا-رحمه الله-: " على قدر حبك لله يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق، وعلى قدر شغلك بأمر الله يشغل في أمرك الخلق ".

وقال أيضًا-رحمه الله-: " يا من رباني في الطريق بنعمه، وأشار لي في الورود إلى كرمه، معرفتي بك دليلي عليك، وحبى لك شفيعي إليك ".

وقال أيضًا-رحمه الله-: " أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إليّ ساعة يكون فيها لقاؤك ".

وقال هرم بن حيان-رحمه الله-: " ما أقبل عبدٌ بقلبه إلى الله-عز وجل- إلا أقبل اللهُ بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه محبتهم ".

وقال الإمام الغزالي-رحمه الله-: " اعلم أن أسعد الناس، وأحسنهم حالًا في الآخرة؛ أقواهم حبًّا لله تعالى؛ فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه، وما أعظمَ نعيمَ المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه! وتمكَّن من مشاهدته من غير منغِّص ولا مكدِّر! إلا أن هذا النعيم على قدر المحبة، فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة ".

وقال ابن القيم-رحمه الله- :" إنَّ محبَّةَ اللهِ تعالى أصلُ الأصُولِ، وأساسُ الأعمالِ، والمؤمنُ في سيرِهِ إلى ربِّهِ تعالى بِمَنزِلَةِ الطَّائرِ؛ فالمحبَّةُ رأسُ الطائرِ، والخوفُ والرجاءُ جناحاه، فمتى سَلِمَ الرَّأسُ والجناحان؛ فالطائرُ جيِّدُ الطيران، ومتى قُطِعَ الرأسُ؛ ماتَ الطائر، ومتى فَقَدَ الجناحانِ؛ فَهُوَ عُرضَةٌ لِكُلِّ صائدٍ وكاسِر". **(مدارج السالكين ص: ٣٢١)**

فمحبة العبد لربه بمنزلة الروح للجسد، فمتى ضعفت وذبلت؛ انقطع سيره إلى الله تعالى.

وقال أحدهم: " ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه ".

وقال أحدهم: " عجبًا للخليقة كيف استنارت قلوبها بغير سواك ".

وقال حبيب أبو محمد الفارسي-رحمه الله-: لا قرة عين لمن لم تقر عينه بك، ولا فرح في الدنيا لمن لا يفرح بك وعزتك إنك لتعلم أني أحبك ".

وقال خُلَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَصَرِيُّ الْبَصْرِيُّ -رحمه الله-: يا إخوتاه هل منكم من أحد لا يحب أن يلقى حبيبه؟ ألا فأحبوا ربكم وسيروا إليه سيرًا كريمًا ".

وقال أحدهم: من أعرض عن الله فما له من الله بدل، ولله منه أبدال ".

وقال أحدهم: احذروه فإنه غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده غيره ".

وقال أحدهم: " من أطال النظر إلى الخالق؛ شغل عن المخلوق ".

وكان أحد العباد يقول في جوف الليل: طوبى لقلوب ملأتها خشيتك، واستولت عليها محبتك، فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك، والاجتهاد في خدمتك. ثم بكى وقال: يا إخوتاه ابكوا على خوف فوت الآخرة حيث لا رجعة ولا حيلة.

وقال أحدهم:

يا ذا الذي أنس الفؤاد بذكره أنت الذي ما إن سواهُ أريد
تفنى الليالي والزمـان بأسره وهواك غض في الفؤاد جديد

وكان أحد العباد يقول: " يا من هو عند ألسن الناطقين، يا من هو عند قلوب الذاكرين، خسر من أتعب لغيرك بدنه، وألجأ إلى سواك همه، يا من لا تراه العيون، ولا يصفه الواصفون، يا عالما بمثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرف عليه النهار، ولا تواري منه سماءٌ سماء، ولا أرض أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره. عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك، ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك ".

أسأل الله تعالى أن ينفعنا بالقُرآن العظيم، وأن يرزُقَنا حبَّه، وحبَّ مَن يحبُّه، وحبَّ كل عمل يقرِّبُنا إلى حبِّه، وأن ينزع من قلوبنا محبَّة سواه، وأن يخلصنا له جلَّ في علاه، وأن يثبتنا على طريقه حتَّى نلقاه وهو راضٍ عنَّا.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك